اعداء الوطن هم ادعياء الوطنية

لقد اردنا « الاديب » رسالة ، ورسالة انفطار جديد فمضت عاملة مطمئنة ، غير عابثة او حافلة ، بما قد اقيم لها وما سوف يقام لها .. فهي تستلهم عناصر خالدة، ثبتت في اصول طبيعة عربية خالقة، اعطت الابداع اول ما اعطت. وانها وراء مستوفز حركتها — رغم الجاحدين الآفنين — سوف تخط غاية ابداع جديد ، لوجه انسانية جديدة ..

مضت « الاديب » تشق الطريق صعداً ، هادرة حيناً وهادئة حيناً . وهي بين قوة من هديرها ووعي من هدوئها ، تبني وتعلي في ذيالك البناء ، كما تميل فتمس ما اخلولق بالهدم ، فان في بعض من معنى الهدم، لكثيراً من معنى البناء .. فالهدم — اي الثورة الفكرية — رجة عنيفة تمس الافئدة والعقول ، فتبعث فيها تيارات مطورة جديدة تختلف قوة وضعفاً ، ولا تخلو ملابساتها عن تغيير في ارتكاز الآفاق العامة للاوضاع او تعديل في السنن المفروضة . ولا شك في ان عملية البعث التي تستتبعها الثورة ، ثم ما توالي به من ضروب الالوان والتشكلات ، تعد الكائن في خاصياته النفسية وفي حالات اجتماعه لشيء جديد.

و « الاديب » اغضبت في اتجاه غايتها ، قوماً عششوا في الطلل المخلولق ، الذي آنسوه في انفسهم حبوراً ، وأروه للناس بافكهم قصوراً ، فنثروا الصعاب بين يديها ومن امامها . ولكن « الاديب » مضت جاهدة صابرة ، ومستعلية قاهرة . وكانت تعزيتها - رغم ما اتهمت به كله — كلمة « رينان » حينما قال في ذكرى سبينوزا—واشار الى النافذة التي كان يطل منها ، وكانت رمز التجديف الى زمن غير بعيد — لعل الله كان اقرب الى هذه النافذة من اي مكان آخر.

وماذا اخذوا عليها ؟ . اخذوا عليها ، انها آمنت وكفروا ، وانها اخلصت وماذوا ، وانها جدت وعبثوا ، وانها تجردت وانتهزوا .. ولكن « الاديب » لن تمضي ، وهي ترى كلا يذوب وفردية تتحكم . ولن تعدل عن تحديها ، وهي ترى الدائرة تذوب كلها في نقطة ، والمعروف في المنطق الرياضي ، ان النقطة تصحح الخط الدائري ولا تبتلعه.

مرت « الاديب » الى سنتها الجديدة ، وهي تجاهد وتجالد . تجاهد بسبيل الغاية التي قدستها ، وتجالد الصعاب التي نثرت بين يديها ، وما نثرها الا اولئك الذين غرروا بالناس ، فأحلوهم محل الزعامة من انفسهم .

ولكننا نقول للشعب — والشعب هو الكل الصالح — ان حاجتك الى زعيم غسل نفسه من الانانية في الوطن فلا يستأثر به ، وتوافر لديه الشعور بالواجبات فلا يغفل عنك.

واما اولئك الذين تعرفهم ، فاحذرهم لانهم تجار يبحثون من وراء الزعامة عن سوق لسلعهم ، وعن منهل عذب يبردون به حرقة انانيتهم الظامئة.

نحن لا نعرف الارستقراطية الا في الوطنية والخدمة العامة والانتاج المثمر ، فأي امرىء كان اكثر وطنية اي اكثر خدمة واكثر جهاداً وانتاجاً ، فهو الارستقراطي فينا ، واما كل ما وراء ذلك فلصوصية اجتماعية لا نغتفرها .. على ان الامة اذا استفاقت لا بد ان تنشر قانون الجزاء الوطني ، وتنطق على لسانها العدالة.

يجب ان تعلم — والمجتمع كالكائن الحي بدون قياس الفارق — ان ميزة العضو لا بمقدار ما يملك من الدم ، بل بمقدار ما يحرق منه ويجهد بسبيل الاعضاء الاخرى ، فالدماغ والقلب ربما كانا أفقر الاعضاء بالدم كمحصول ، ولكنهما اشرف ما في الانسان ، فالاول يحرق لضياء الفكر والثاني يجهد لبقاء الحياة.

ايها الشعب : الزعيم والامة شيئان ، ولكن الزعيم من الامة ، فلم يبق الا الامة وحدها فقط . فاذا فكر بنفسه دونها او معها ، فقد سقط خائناً وعاد شخصاً مزرياً .

اكبر الاضرار ان تكون الامة بدون زعيم ، واكبر الاخطاء ان تغفل الامة عن تخير الزعيم ، فلتنتخب الامة زعيماً ، ولكن لتحذر جيداً كي لا ينقلب الانتخاب انتحاباً.

عبد الله العلايلي

رباعيات الشابي

لأبي القاسم الشابي

*

قد سكرنا بحبنا واكتفينا
يا مدير الكؤوس فاصرف كؤوسك
واسكب الخمر للعصافير والنحـ
ـل وخل الثرى يضم عروسك !

*

ما لنا والكؤوس نطلب منها
نشوة والغرام سحر وسكر ؟!
خلنا منك فالربيع لنا سا
ق وهذا الفضاء كأس وخمر !

*

نحن نحيى كالطير في الافق السـ
ـاجي وكالنحل فوق غصن الزهور
لا ترى غير فتنة العالم الحي
واحلام قلبها المسحور !

*

نحن نلهو تحت الظلال كطفليـ
ـن سعيدين في غرور الطفولة
وعلى الصخرة الجميلة في الواد
ي وبين المخاوف المجهولة

*

نحن نغدو بين المروج ونعدو
ونغني مع النسيم المغني
ونناجي روح الطبيعة في الكو
ن ونصغي لقلبها المتغني

*

نحن مثل الربيع نمشي على ار
ض من الزهر والرؤى والخيال
فوقها يرقص الغرام ويلهو
ويغني . في نشوة ودلال !

*

نحن نحيى في جنة من جنان السحـ
ـر في عالم بعيد . بعيد
نحن في عيشنا المورد . نتلو
سور الحب للشباب السعيد !

*

قد تركنا الوجود للناس فليقضـ
ـوا عليه الحياة كيف ارادوا
وذهبنا بلبه . وهو روح
وتركنا القشور . وهي جماد

*

قد سكرنا بحبنا واكتفينا
طفح الكأس فاذهبوا يا سقاة
نحن نحيى فلا نريد مزيداً
حسبنا ما منحتنا يا حياة

*

حسبنا زهونا الذي يتثنى
حسبنا كأسنا التي نترشف
ان في ثغرنا رحيقاً سماويـ
ـاً وفي قلبنا ربيعاً مفوف

*

أيها الدهر ايها الزمن الجا
ري الى غير وجهة وقرار
أيها الكون ايها الفلك الدو
ار بالفجر .. والدجى . والنهار !

*

أيها الموت . ايها القدر الاعـ
ـمى! قفوا حيث انتم ؟ او فسيروا
ودعونا هنا تغني لنا الاحـ
ـلام والحب والوجود الكبير

*

واذا ما ابيتم فاحملونا
ولهيب الغرام في شفتينا
وزهور الحياة تعبق بالعطـ
ـر وبالسحر والصبا في يدينا

ابي ... هل رأيت الجنة ؟

★

عدت من عملي متـأخراً في تلك الليلة . المنزل نائم الا تلك الصغيرة التي احست بقدومي ، فنهضت من فراشها تستقبلني بابتسامتها العذبة ، وكأنها كانت ترقب عودتي بفارغ الصبر .

— ابي ، عندي اشياء حلوة احب ان اقصها عليك ! . .

وقرأت في عينيها وميضاً من الفرح والبهجة بلقائي، فكأني عائد من سفر طويل، وكأني لم أرها منذ ساعات قليلة على المائدة وقت الغداء ! .

— ابي ، هل رأيت الجنة ؟

— وكيف لم أرها يا حبيبتي ، الست جنتي الصغيرة ؟

وضممت بين ذراعي هذه الصغيرة الغالية التي يرجع عهدي بصداقتها الى خمس سنوات لم اكن أقدر قبلها ما يشعر به الاب من لذة في صداقة اطفاله . . هل رأيت اشجار الجنة وعليها التفاح والاجاص والبرتقال والافندي، دانية القطوف، تجني منها ، وانت في فراشك، ما تشتهيه نفسك؟ ابي . . . وهذه « الصينية » العجيبة تروح وتجيء من تلقاء نفسها ، تحمل اليك اصناف الطعام والحلوى ! . .

« لقد قصت علينا المعلمة اليوم حكاية الجنـة والنار ، وهي حكاية جميلة يا ابي ! مساكين اهل النار . . . انهم يتعذبون . . اللهب يخرج من افواههم وعيونهم ، وكل واحد منهم مشكوك بسفود كبير ، يقلبه « الزبانية » على النار ! الزبانية يشعرون ! . . واما ملائكة الجنة فلطفاء ، مهذبون ! . .

« ابي ! لا تكذب بعد اليوم ! فقد قالت المعلمة ان الذي يكذب لا يدخل الجنة . وانا اريد ان نذهب جميعنا ، انت وامي واخوتي ، الى الجنة ، هل فهمت يا ابي ؟ ! ولقد قالت المعلمة لنـا ان الجنة في السماء ! فكيف نذهب اليها ؟ بالطائرة ، أليس كذلك ؟ والجنة ليس فيها مرض ولا اطباء ، ولا دواء مر . . وقالت المعلمة لنا ان اهل الجنة لا يموتون . . . هذا صحيح يا ابي ، اليس كذلك ؟ ! . الك لا تجيب ؟

وظللت مطرقاً استمع الى هذه الصغيرة تقص علي « حكاية الوجود » وكيف كان آدم في الجنة مـع حواء ، وكيف اغوى ابليس ام البشر ، فاطعمها التفاحة ، فخالفت امر ربها . . وكيف هبطا الى الارض . . . الحكاية المعلومة !

ودنت الصغيرة مني وقالت بشدة :

— لا تكذب يا ابي ! واذا كنت قد كذبت فتب حالا ، فان الله — كما اخبرتني المعلمة — يعفو عن الكاذب اذا تاب ويدخله الجنة . .

ثم همست في اذني بخبث ودهاء : — اما انا يا ابي ، فسوف اكذب كل يوم مرة واحدة ، ثم اتوب ، الا يدخلني ربي الجنة ؟ . .

دهشت لهذا المكر قبل اوانه يبدو من طفلتي وهي لما تتجاوز الخامسة وتتظاهر بالغضب وقلت لها :

— بل تدخلين النار ! . . انت ومعلمتك اذا كانت هي التي لقنتك هذه المبادىء الفاسدة . . هيا الى فراشك ! . .

فلم تعجبها فتواي ، ما العمل : الفتوى على قدر النص » . وانصرفت الصغيرة عني كئيبة ، واوت الى فراشها . واستاشك في انها اكلت في احلامها تلك الليلة على مائدة الخيـال من تلك الصينية العجيبة تروح وتجيء حاملة اشهى اطعمة الجنة . .

اما انا فقد آلمني ان اكسر خاطر هذه الصغيرة . . لقد قسوت عليها ، وكنت ضيقاً اذ ضننت عليها بالعفو والرحمة . . اليس الله يغفر الذنوب جميعاً . . الا تسع رحمتـه كل شيء ؟ فهل تضيق باوزار هذه الصغيرة تتوب عنها كل يوم ؟ . . الا يتسع عفو الله جل جلاله لقطعة من الحلوى تأكلها هذه الطفلة سراً في الصباح ، وتخفي الامر عن امها ، لتتوب الى ربها في المساء ! . .

واني لمستغرق في هذه التأملات ، واذا بيد صغيرة ناعمة تربت على خدي ، واذا بالصغيرة ماثلة امامي تقول بلهجة المعتذر التائب :

— عفواً يا ابي . لقد اغضبتك . . لن اكذب ابداً . . الا ادخل الجنة ؟

تناولتها بين ذراعي ، مغتبطاً بنجاح المثل العليا ، واشرت برأسي اشارة موافقتي على دخولها الجنة . . وحملتها الى فراشها ، واضجعتها برفق وحنو ، ثم قبلتها قبلة الليل . . وشعرت وانا اضمها الى صدري انني ادخل الجنة ! . .

عبد الله المشنوق

عهد البعث في الادب العربي

■

الياس فيـاض

بقلم كرم ملحم كرم

احد رجال قافلة « البعث »

عهدت مجلة « الاديب » الى الصديق الاستاذ كرم ملحم كرم ، الواسع الاطلاع في ادب البعث العربي ، ان يخصها بفصول عن قوافل الادباء منذ بدء عصر البعث . وكان قد بدأ هـذا المبحث في النشرة الاولى من مجلة « الاديب » بادئاً بالشيخ نصيف اليازجي* . على ان الحوائل وقفت دون متابعة المطلب . والاستاذ كرم يعود اليوم الى المضي في الدراسة وهو فيها على توفيق جم

وها هو رأيه في الاديب المأسوف عليه الياس فياض نحمله الى قراء « الاديب » صفحات حافلة بما ظهر وخفي من ادب الفقيد وحياته المتقلبة بين بؤس ورخاء

✯

عاش كما يعيش التائه ، لا يستقر على حال ولا يقر له قرار

كأنما هو في حل ومرتحل   موكل بفضاء الله يذرعه

فبينا هو في لبنان اذا به في مصر ، ولا يطول به المقام في مصر حتى يغادرها الى لبنان . ويشتغل بالمحامـاة فينأى عنها . ويميل الى الصحافة فيملها . ويقرض الشعر ثم يهجره . ويتولى القضاء فيودعه غير مأسوف عليه . ويتولى شؤون المعارف اللبنانية ثم يجلو عنها ليكون وزيراً فنائباً . وكانت النيابة خاتمة المطاف .

وفي اعماله كافة عاش بلا نظام : في بيته وبعيداً عن بيته . واذا جالسك فلا تطول مجالسته وقد نهض ليميل عنك الى سواك . فما طال جلوسه الى سوى المنضدة الخضراء . فهو اليها منذ المساء حتى الصباح . واذا اضطره الامر ظل جالساً من المساء حتى المساء . فكأن فيها من السحر ما يجذبه اليها ويقيده بها ويشد منه الوثاق .

نشأ كما ينشأ الاديب . ولقـد نشأ يوم كان الادب معروف الاركان والفتيان . فلا دخلاء فيه ولا دجـالون ، لا ادعياء ولا افاكون . فكانوا نخبة من الرفاق يتناشدون الشعر ويتجاذبون نوادر الشعر . هذا ينصر البحتري وذاك يؤيد المتنبي . هذا معجب بعمر بن ابي ربيعه وذاك بابي نؤاس .

والياس فياض كان من المعجبين بالمتنبي لمتانته وقوته . فالمتنبي الضخم الالفاظ ، الفخم الديباجـة ، الناطح السحاب بقوافيه كأنه يبني بقصائده ناطحات السحاب ، سيد الشعر والشعراء بـلا منازع لدى الياس فياض وهو البحر الذي يغرف منه العطشان والريان ولم يكن يميل عن ابي نؤاس . فالشعر في ابي نؤاس يقـال لينشد في مجالس اللهو والطرب ، بل في كل مجلس . وانه ليفتن البـاب سامعه ، على حين ان في المتنبي ما يدعو الى امتشاق الحسام . . او العصا

لا تشتر العبد الا والعصا معه   ان العبيد لانجاس مناكيد

*

اجل ، نشأ الياس فياض في بيئة فتنهـا الادب فامست له بقلبها ودماغها . فهو حديثها الاوحد ومشتهاها الاسمى . وكانت تنسى احياناً ان في الكون شيئاً غير الادب عليها ان تنصرف اليه

وتجمع الحـلقة الشيخ اسكندر العازار ، والياس فياض ، ونقولا فياض ، وجرجي نخله سعد ، وطانيوس عبـده ، وباترو باولي ، وجرجي باز ، وقسطنطين يني ، وجرجي شاهين عطيه ، ومصطفى الغلاييني ، وفئة لا تعـد ولا تحصى من الرفاق . واي كلام يتبادله هؤلاء غير الشعر والادب ، ومداعبة جرجي باز ، ابن خلكان هذا الزمان ؟

الياس فياض المحامي

ومال الياس فياض الى المحاماة . وقد يكون أكره على هذا الميل فهجر لاجله بيروت الى مصر . ولكن في مصر اتسع امامه

---

* الجزء الاول ، السنة الاولى ، شهر كانون الثاني ١٩٤٢ صفحة : ١٧ .

مجال الادب ، فلمع فيه . وماذا فعل بالمحاماة ؟ . . . اتقنها ونال بها شهادة ناطقة ، الا ان شغفه بالادب زاد على شغفه بها ، فكأن تهتك بشار بن برد اشهى لديه من مبتكرات ابي حنيفة في الشرع والفقه .

وماذا استفاد من المحاماة ؟ . . لم يكد يستفيد شيئاً . فلم يشعر بفائدتها الا بعد الاحتلال الفرنسي وقد عاد في سنة ١٩١٩ الى مسقط رأسه بيروت وكان من قضاة محكمة التمييز اللبنانية . بيد انه لم يحفل بما يفرضه منصبه عليه ولم يكن ذا همة وجلد ، كأن العمل يضنيه .

وتراكمت عليه الاعمال في القضاء وما انجزهـا . وهناك من يعرفه . هنـاك الدباس . ففي كل واد اثر من ثعلبة . والدباس نسيبه . ولم يكن هذا النسيب غافلا عما بلي به الياس فياض من تهاون فصرفه عن القضاء . الى اين ؟ . . الى منزله . ومنذ ذلك الحين بدأ عهد البؤس والشقاء .

ماذا فعل في مصر ؟

لا ، لم يشتغل الياس فياض بالمحاماة في مصر وان يكن قصد اليها للاشتغال بهذه الحرفة القاضية على من يمارسها بالصبر والمطالعة . والياس فياض ينفض ثوبه ويده من هاتين الحليتين . عدا ان الفئة التي اختلط بها لم تختلف عن الفئة التي عايش في بيروت . فكان هناك نجيب الحداد ، والشيخ يوسف الخازن ، وسليم سركيس ، وانطون الجميل ، وداود بركات ، وطانيوس عبدو نفسه ، وامين تقي الدين . وهؤلاء لا يكترثون للقانون ، فكيف يكترث له الياس فياض ؟ .

وماذا فعل اذاً ؟ . . . اشتغل بالانشاء . فاعتكف على تحبير الصحف ، ونظم الاشعار ، وكتابة الروايات التمثيلية . ولم يفلح في انشاء الصحف مثله في النظم وترجمة الروايات للملعب العربي وهو ليس صحفياً بالفطرة ، ان هو الا شاعر اديب ، ومن الصعب على الشاعر ان يكون طويل الباع في الفن الصحفي والامر من جهاته كافة مغلق عليه . فمن يهيم بهوميروس ، وفرجيل ، وابي الطيب ، وشكسبير ، وراسين ، لا يبرع في الانشاء السياسي ويضارع فيه من نشأوا عليه ليمارسوه .

والياس فياض عـلى شغف بالراحـة فكيف يكون صحفياً والصحفي جندي لا تغمض له عين ؟ . . . ومن الادلة على ولوعه بالراحة انه لم يكن يبرح فراشه . فاذا استطاع ان يقضي فيه الليل والنهار فعل . والامثال تضرب بميله الى الرقاد . ومنها انه قلب ذات يوم في سريره من جنب الى جنب والتفت بعد هذا العناء الى صديقه الشيخ يوسف الخازن يقول له : صحيح ، الانسان طير بلا اجنحة !

وادركه الافلاس في مصر وعزم عـلى الانتحار . واذاع في اخوانه انه سينتحر فجزعوا . أينتحر الياس فياض ؟

واتفقوا على ان يجمعوا له المال ليدفعوا عنه الفكرة المشؤومة . ورأى احدهم ان يسأله : وكيف تنوي الانتحار ؟

فكان جوابه مبتكراً . وكان للنساء في جوابه شأن عظيم .

وكان يحتكر جوائز « سركيس » باشعاره . فلا تقيم مجـلة «سركيس» مباراة شعرية حتى يظفر منها الياس فياض بحصة الاسد .

ومن هـذه الجوائز انه خطر لسليم سركيس ان يقترح على الشعراء هجوه بلا مقابل ، فلم يكترث احد لهذا الهجو المسخر . وجاء من يدفع بدل الجائزة فشمر الياس فياض عن ساعـد الجد وقد اغراه المال فنظم في سركيس قصيدة يهجوه بها نالت الجائزة . قال « يطنب » في « مدح » صديقه :

عجباً تحاول ان تنال هجاء … أتراك قبل اليوم نلت ثناء
اين «المشير» واين ايام مضت … فيها ملأت الخافقين عداء ؟
أنسيت تلك الحرب حين اثرتها … وحملت تلك الحملة الشعواء
اذ تستعير من الجيـاد يراعة … ومن السلاح وقاحـة وبذاء
واذ الورى يتجنبونك مثلما … يتجنبون العترة الجرباء
واذ اسمك الملعون كاف وحده … لينيل لافظه العذاب جزاء ؟
يا ويح ذا القلم الذي جردته … لو كان سر بقدر ما قد ساء
يا ويح ذا الادب الذي اعطيته … لو كنت قد اعطيت معه حياء
واليوم لما تبت عما قد مضى … ونبذت تلك الخطة العوجاء
فمن الذي يبغي ودادك بعد ذا … ومن الذي يرضى الوداد رياء ؟
اما انا فعلى كلا الحالـين لم … ابرح اريك مودة واخـاء
لكنني لا استجيد لك الثنا … الا اذا ضاعفت لي الاعطـاء
فهجاء مثلك ليس فيه تكلف … وارى مديحك كلفة وعناء !

وهي ابيات لم يرسل الحطيئة على هجوه اللاذع بما هو اوجع منها وادمى . فكأن الياس فياض تذكر صاحبنا القـديم وهو يصوغها فجاء مع عفة في القذع بما لا يتفوق عليه فيه دعبل وبشار . فان هجوه يخلو من هجر الكلام وفحشه وقد جاء لا متعهراً ولا فظاً مسمجاً . فان ثمة مداعبة اكثر منها ترة ومثلبة . والياس فياض على علاته لم يكن فاحشاً في قوله ، وهو ممن اعطوا في القول ليناً لا فجاجة وغلاظة .

*

وشعر الياس فياض بكامله يدل على طبع صاف نقي وعلى فطرة صقلها التهذيب والصدق . فلا تكلف ولا رثاء ولا جهد والشاعر اطلق لسانه على سجيته الخالعة عليه طيب السريرة ، فصب منظومه عفواً ، بلا تلوين ولا زخرفة ، والشعر لديه ما جادت به النفس بلا كد ولا عصر يطفو عليهما الانتفاخ ويمتزج بهما حب الظهور .

ولألياس فياض فلتات شعرية ترفعه الى طبقة جليلة بين الشعراء. بيد ان شعره بمجموعه لا يسمو به الى المقام العالي مع صفائه وانسجامه وخلوه من الالتباس والابتذال .

والشاعر، مع اعتزازه بمكانته الشعرية وحرصه عليها ، كان يعرف وزنه ، بل كان يعرف وزن كل شاعر ، ويعجب بكل ذي موهبة ، ويأسف على فقدان كل اديب . وراعه المصاب بصديقه طانيوس عبده وآلمه ان يموت طانيوس بائساً ، بعدما قضى الشطر الاكبر من العمر بائساً ، فوقف يرثيه . والكلمة الاولى في رثاء طانيوس كانت للفقيد الاستاذ وديع عقل نقيب الصحفيين يومذاك . فبكى وديع الراحل واستبكى . فلم يكن من الياس فياض الواقف بجنبه الا ان هتف به بصوت جهوري راعد :

لا تبكه فاليوم بدء حياته   ان الاديب حياته بمماته

فكان ابلغ من رثى طانيوس عبده، مع ان رثاءه لم يجاوز الابيات الستة ويمكن القول في هذه الابيات الستة انها من خير ما قيل في رثاء اديب .

واعتمد الياس على الترجمة في نظم قصائد وافرة . وترجمته سلسة لا يكاد يشعر من يقرأها بان هناك نقلًا عن لغة اجنبية . فالشاعر كان من ذوي الصناعة في البيان العربي حتى لتأتي ترجمته مطابقة للاصل الفرنسي في قالب عربي بليغ . فما هناك سوى تبديل بعض كلمات . وللشاعر عذره في هذا التبديل وهو ينظم شعراً لا يكتب نثراً، وللنظم اوزان وقيود لا يقوى مقحام على العبث بها وتحطيمها، فتضطره الى كلمات وقوالب يخرج بها احياناً عن الاصل .

وكل من وقف على قصائد الياس فياض المترجمة اعترف له فيها بالاجادة وايقن ان صدر اللغة العربية يتسع برحابة لهذه الكرائم . وقصيدته الاولى المهيبة به الى الترجمة قصيدة « سقوط الاوراق » للشاعر الفرنسي « ميلليفوى » . فتولى الياس فياض نظم عقدها سنة ١٨٩٤ ، ومما جاء في مستهلها :

ما مرّ حر الصيف والهجير   وآذن الخريف بالظهور
حتى ذوت عرائس الزهور   وانقطعت زقزقة الطيور
وزال حسن الروض والغدير
جردت الاغصان من حلو الثمر   واكتست الارض باوراق الشجر
فالروض كالعاشق يبدو للنظر   سكوته يترك في النفس اثر
يضيق عن فسحة الصدور

وله قصيدة « النجوم » وهي قصيدة سها عنه في البدء التصريح بانه ترجمها عن اللغة الفرنسية فادعاها . ولما عوتب فيها ادرك انها ليست له ، واذاع امرها في مقال اعلن فيه ان فتاة حسناء كانت تنشده ابداً هذه القصيدة وهما على شواطىء الاسكندرية ، يضيئهما القمر الاصفر الوجه كالغيران ، فرسخت القصيدة في ذهنه ونظمها وهو لا يدري انه ينظم قصيدة سبقه الى معناها شاعر اجنبي . وجاء في هذه القصيدة المنقولة :

قلت للنيرات ذات مساء   أترى انت مثلنا في شقاء ؟
ساهرات الجفون هل لفراق ؟   خافقات الضلوع هل للقاء ؟
هائمات مع المجرة تجر   ين الى غير غاية او رجاء
مثل سرب من القطا ظامئات   حول ماء يثنعن ورد الماء

ومن يستطيع القول وهو يطالع هذه القصيدة المختارة الالفاظ، العربية الديباجة ، انها مترجمة عن شاعر فرنسي ؟

وقصيدة «النسيم» مترجمة :

هذه قصة جرت لنسيم الـ   روض فيما مضى من الازمان

اما قصيدة « اذكريني » للشاعر الفرنسي « الفرد ده موسه » فان الياس فياض تجاذبها وشقيقه نقولا . فكل منهما ادعى ترجمتها واثبتها في منظومه . اما لمن هي فليس هناك من يقوى على الجزم . والكلمة الاخيرة فيها لنقولا نفسه . فاما ان يعترف بها لاخيه، كما يقضي به عليه الوجدان ، واما ان يقسم بتراب اخيه انها له ونحن نصدقه ، او ان يسرد لنا حكايتها ان تكن ذات حكاية . فان ما دعا الاخوين الى ادعائها معاً لا بد ان يكون قائماً على علة من العلل . وهذه العلة ما هي ، هل من ايضاح لها كي ينجلي للادب السر ؟

*

ونظم الياس فياض قصائد سلخها من قلبه . واذا حوى ديوانه من قصائد المدح والرثاء ما لا يستهان به ، فان في مطاوي هذا الديوان نفثات عالية يظهر بها الشاعر اللامع . فهو صاحب قصيدة « المشنوق » ، وصاحب « معرض الازهار » :

من شقيق واقحوان وورد   وخزامى ونرجس وبهار
زهرة عند زهرة عند اخرى   كاقتران الدينار بالدينار

وهو صاحب :

صدّ عني ولا عجب   كل شيء له سبب
ذهبت ساعة الرضا   واتت ساعة الغضب
مستبد بحكمه   فانا مثل ما احب
تارة صاحب المنى   تارة صاحب الكرب
فلقاء به الهنا   وفراق به التعب
كل هذا لان لي   فيه صدراً قد التهب
ولاني عشقته   بارد القلب والشنب

على ان قصائده المترجمة، في اعتقاد فئة غير قليلة من الادباء، اسمى منزلة وارفع قدراً .

الياس فياض الناثر

وهذا الصفاء الماثل في شعر الياس فياض هو هو في نثره. فكأنه لا يكتب بسوى قلم جلي استمد اشعته من قلب النهار. فليس هناك ابهام ولا غموض، بل صراحة ووضوح. وهذا دليل آخر على صفاء القلب وسلامة النية، مما زخر به صدر الياس فياض في مواقفه على اطلاقها.

ونثره انيق تطفو عليه الفصاحة وصحة التركيب. فتقرأ فيه الصفحة تلو الصفحة وانت معجب بذلك القلم الرشيق

ونثره النقي يتألق في رواياته التمثيلية وقد ترجمها الياس فياض للمغني الذائع الشهرة الشيخ سلامه حجازي ناسجاً فيها على منوال صديقه نجيب الحداد، مزوّد الشيخ سلامه اروع آيات الملعب. ولا تبرح ترجمات الياس فياض حتى الآن مطلب هواة التمثيل العربي. وزف الياس الى ملعب الضاد اربع عشرة رواية مترجمة وثلاث روايات موضوعة. والروايات المترجمة هي: ماري تيدور، عبرة لابكار، عواطف البنين، القاتل ابي، بين نارين، تبكيت الضمير، عيشة المقامر، بائعة الخبز، لويس الحادي عشر، ضحك الملك، الشفاليه ده لاغاردير، نابوليون، الحجرة الصفراء، ليلة العرس.

والمؤلفة هي: الزوجة الخائنة، دون فردنند، قران البندقية. ولم نكن نعتقد ان الياس فياض جلد دماغه في حين من الاحيان وجاد على الملعب بهذا العدد الوافر من الروايات. ولكن الحقيقة تدحض سوء ظننا بمن كنا نحسبه على كسل واهمال.

الرجل البائس

ويجب ان لا ننسى ان حامل القلم اكره على ان يكون حامل سيف. فلقد ركب الياس فياض في بدء الاحتلال الفرنسي في لبنان منصب رئيس الشرطة في بيروت. وهو منصب لم يخلق له الاديب فياض على ضخامة جسده وسعة صدره ووقاره. فالشاعر لا يستطيع ان يملك ناصية الامن حتى ولو كان المتنبي. وكيف يصون النظام من العبث من يعبث بكل نظام؟.. لذا لم يثبت الياس فياض على رأس الامن، فانتقل منه الى القضاء، وفي القضاء لم يطل به الامر حتى انزوى في بيته

ولم يكن ذا ثروة ليقوى على مكافحة نوائب الدهر، فضاقت به يده وشعر بالفاقة. وتلفت الى الاصدقاء ووجد لدى بعضهم العطف. فاشترت فئة منهم بضع مئات من نسخ ديوانه، الا ان المال كان اشبه بالسائل بين يدي الياس فياض، فلا يهدأ فيهما، وكيف يهدأ فيهما وهناك الميسر؟

وهيام صاحبنا بالميسر بات اشبه بالعبادة. مع ان هذا المعبود لم يرفق يوماً بعابده. فان الياس فياض كان سيء الحظ في جلوسه الى المنضدة الخضراء. وقد صح فيه قول القائل: «المنحوس منحوس!...». فاذا قعد الميسر وفي جيبه مائة دينار برح نادي المقامرة وليس في جيبه فلس. وربما اضطر ليعود الى منزله الى استدانة بدل ركوب العجلة من احد الاصدقاء. ويروي عنه شقيقه نقولا انه ربح ذات ليلة في صوفر مائة دينار ذهباً. وخاف عليه شقيقه ان يخسرها فانتزعها منه وتوارى عن كل عين. ولكن الياس اهتدى اليه في مخبأه واستعاد المال وقامر به فخسره، وما طلع عليه الصباح حتى كان قد كفن الربح المفقود بخسارة تضاهيه

وتململ الياس فياض في بؤسه، وطرق ابواب الدواوين يرجو عملاً، فلم يفسح له الدباس. فيئس من الحياة وهدد رجال الحكم بكتاب يذيعه ويفضح فيه امرهم، ولكنه لم يضع ذلك الكتاب.

وبينا هو في حيرته اذا الآمال تضحك له بملء فيها، واذا به وزير الزراعة في اول وزارة قامت في لبنان.

ضاقت ولما استحكمت حلقاتها...

وما سقطت الوزارة حتى كان حيث يستطيع عملاً، على رأس المعارف. وفقدت الطائفة الارثوذكسية ممثلها في ندوة النيابة فكان الياس فياض هذا الممثل.

على ان المنية عاجلته حين بسم له الدهر. فقضى نحبه يوم آمن شر الفاقة والعوز. وهنا يجب ان نعيد القول المأثور: المنحوس منحوس!.

والياس فياض مميح حتى في آثاره الادبية. فترجم في احد الايام وشقيقه نقولا رواية تمثيلية، تحت عنوان «اللص الشريف» واقبل طانيوس عبده يشكو نضوب الجيب. فتناول الياس الرواية عن منضدته ووهبها لطانيوس كي يبيعها باسمه للمكتبات ويتقاضى بدلها لنفسه. وهكذا كان. فظهرت الرواية مطبوعة وعليها اسم طانيوس عبده.

هذا هو الياس فياض الشاعر، والناثر، والمحامي، والقاضي، والشرطي، والبائس، والوزير، والنائب. فان تكن اعماله في المحاماة والقضاء والوزارة والنيابة ليست بالمعجزات، فان عمله في ناحية الادب مجيد بليغ. فهو من الادباء الذين تتناقل الافواه اسماءهم. ولو كان ذا همة لبدا اثره اكثر بروزاً واشراقاً، الا انه كان لا يجهد نفسه. فلا يكترث ليومه ولا يفكر في غده.

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي انت فيها

كرم ملحم كرم

آراء رودين في الفن

بقلم الآنسة روز غريب



لا استطيع ان امر بكتاب رودين في الفن دون ان اشير الى انطباعاتي عنه . وليس الكتاب من تأليف رودين بل انه مجموعة احاديث جرت بين الفنان واحد اصدقائه – بول جسيل – وهو من طبقة اولئك الهواة الذين يرتاحون الى الجلوس عند قدمي «المعلم» ليستمعوا اليه ويلتقطوا من فيه سوانح الالهام ضناً بها من ان تطير في الهواء .

يفتتح المؤلف الكتاب بوصف شعري « لصومعة » رودين او مشغله وهي كناية عن جنة من الحلم تتعانق فيها الاشجار الباسقة الخضراء ، وتتلفت الى خيالاتها المتمايلة في المياه حيث طيور الاوز البيضاء لا تفتأ عائمة ، حالمة . ويلي ذلك سلسلة فصول لكل منها عنوان خاص يتناول ناحية هامة من نواحي التفكير الفني عند رودين ، مشفوعة بصور من روائع النحت والتصوير لرودين وغيره من فناني العصور ، يشير اليها الفنان على سبيل التمثيل في معرض حديثه .

ولنذكر ان رودين نحات حديث – احد اساتذة جبران في الفن – ويقال انه قال في جبران : «هو وليم بلايك القرن العشرين» وقد اشتهرت تماثيله بقوة التعبير وبروز النزعة الحيوية البرغسونية فيها حتى قالوا « انه شاعر بالحجر وقد استطاع ان يبرز فيه شعائر واحاسيس لا يمكن ظهورها الا في الموسيقى وفي الادب الغنائي والسيكولوجي » . وسنرى فيما يلي نتفاً من اقواله التي يشرح فيها بعض اسرار فنه وهذه القوة التعبيرية التي نسبوها اليه ، وجميعها مواضيع شائعة في الابحاث الفنية وانما ننظر اليها من زاوية رودين نفسه فنرى كيف يتفق مع غيره وكيف يخالفهم وكيف يشرح على طريقته بعض النظريات الفنية المشهورة .

سأله جسيل : أصحيح ان الفن انحراف عن الطبيعة ، ولماذا؟ ولا يخفى انه موضوع طالما تحدث به النقاد وفلاسفة الفن . فقالوا ان الفن يستلهم الطبيعة لكنه لا ينقلها بل ان من شروطه ان يبتعد عن الطبيعة لكي يسمى فناً ولو كان صورة طبق الاصل لما كان له اية قيمة اذ ان الاصل اجمل من التقليد . ويرى رودين ان الفنان لا ينحرف عن الطبيعة حقيقة فهو ينقل ما يراه منها لكن ما يراه يختلف عما يرى الانسان العادي . فنسمي نقله انحرافاً عن الطبيعة لانه يبصر فيها ما لا يبصره غيره . والقيمة للعيون التي ترى والقلب الذي يشعر .

وقد ساقه هذا الحديث الى موضوع القبح في الفن . فذكر تمثال « المرأة الذابلة » وهو من صنعه . وصورة العامل التعب المتكىء على المجرفة لـ « ميلله » وقصيدة بودلير في وصف الجثة في هذه الاثار ونحوها قد استحال القبح جمالا بواسطة الفن « لان المعنى او التعبير الذي وراءها هو الذي اعطاها ذاتية وتأثيراً . هنالك نفس تنبعث من وراء التقاطيع والخطوط . والغريب ان مناظر القبح في الفن أشد تأثيراً من مناظر الجمال لان الحياة الداخلية فيها اشد انعكاساً وظهوراً واقوى تعبيراً . وقد يحدث احياناً انه كلما زاد قبح الشيء في الطبيعة زاد جماله في الفن والفن لا يرى الطبيعة قبحاً الا في ما ليس له ميزة او ذاتية . والفن القبيح هو الذي يحاول تخفيف القبح في الطبيعة او يبالغ في عرض الجمال وابرازه . هذا هو الفن الكاذب . لكن الفنان يستخرج الجمال من الالم والموت والخيانة ويكتشف اللذة المفجعة التي تنشأ من استلهام هذه الحالات .

ونلاحظ ان موضوع تصوير القبح في الفن لقي اهتماماً عظيماً في ابحاث النقاد الحديثين . ويكاد هؤلاء يجمعون على القول ان تصوير القبح في الطبيعة موضوع هام من مواضيع الفن . قال الباحث « لالو » في هذا المعنى : « ان الفن الذي ينتخب الجميل في الطبيعة هو فن ضعيف ... هكذا نرى الكاتب الرخيص لا يصف الا كبار الحوادث وعظماء الرجال والغواني بين النساء ، وهذه اشياء يستسيغها العامة وذوو الاذواق السقيمة لانهم لا يفهمون من الجمال الا الطبيعي المألوف ... والرجل العادي لا يصفق في المسرح الا للخاتمة السعيدة ولا يرى في المتحف الا صور النساء الجميلات ولا يستهويه في القصة الا اصحاب الظرف والفتنة . اما الجميل في الفن فليس بالضرورة جميلاً في الطبيعة » . وقد يدهشنا قول ارسطو – العصري رغم تقادم عهده – : « قد تكون الاشياء قبيحة في الاصل لكننا نرتاح الى معاينتها في الفن » اما رودين فانه من اشد المتحمسين لهذا الموضوع ولهذا تكثر عنده تماثيل الذبول ، والالم والشقاء الروحي والصراع المذيب .

— الحركة في الفن — : ليس الفن الهاماً وتخيلاً فقط لكن دقة الصنعة فيه امر شديد الاهمية . ومن واجب النحات ان يتقن علم الشكل ، وهو يظهر في التاثيـل بواسطة ابراز العمق وحسن تكوين العضلات وتمثيل دقائق الجسم الانساني مع مراعاة اثر الانوار والظلال في اظهار التقاطيع او اخفائها —

ودقة الصنعة شرط هام لاظهار الحياة في التماثيل الجامدة . اما الشرط الاخر فهو المقدرة على ابراز الحركة وفي كليهما يبدع رودين لكن ابداعه يظهر خصوصاً في الثاني .

والحركة في نظر رودين هي الانتقال من حالة الى اخرى بحيث اننا نلمح في التمثال اثر الحالة السابقة وابتداء الحالة الجديدة في آن واحد . كما في تمثال « عصر النحاس » لرودين وهو يمثل اول انتصار للعقل على فطرة العصور السابقة للتاريخ وهو حالة انتقال من الخمول والنوم الى النشاط واليقظة . وتمثال يوحنا المعمدان يظهر متحركا بجلال ذاتي وكأننا نسمع خطاه تقرع الارض كخطى القائد او نشعر بقوة سرية تحركه وتدفعه الى الامام وهكذا يصبح المشي البسيط مظهر جلال وعظمة لانه يعني اتمام رسالة الهية .

ان الحركة في الفن غيرها في الصور الشمسية . فهي في الفن تطور اما في التصوير الشمسي فهي وقوف فجائي لا اثر فيه للحركة . وعلى هذا يكون الفن اصدق من الصورة الشمسية لان الزمن في الواقع لا يقف بل هو دائم الحركة .

— الفكرة في الفن — : قد يكون الرسم جميلاً لكن الجمال الاسنى يقوم بالحقائق والعواطف التي يشف عنها . والفنانون لا يقسمون حسب الوانهم وخطوطهم بل حسب نزعاتهم النفسية ومقدرتهم على ابراز النفس من وراء الخطوط .

وليس صنع التماثيل مسألة براعة شكلية فقط بل انه يحتاج الى ذكاء لان التمثال والصورة كليهما تاريخ حياة الشخص يعبران عن كل شيء : عصره ، عرقه ، مهنته ، خلقه . وهكذا نلمس في صورة الناقد نظرة فاحصة تميزه عن غيره وفي المثقف شكل رفعة وسمو اذا كان عميق الثقافة .

يظن الكثيرون ان الفنانين يستغنون عن الذكاء وذلك لما يظهرون من جهل وسذاجة في الحياة العادية . والسبب في ذلك ان انصرافهم الى فنهم يجعلهم اغبياء في ما لا يخص الفن . ويرى آخرون ان المصورين والنحاتين لم يفكروا مطلقا بمعاني فنهم وان النقاد والمتذوقين هم الذين تخيلوا الافكار والمعاني ونسبوها الى الفنانين . لكن رودين يعتقد ان الفنانين يعون تماماً ما يفعلون وينفقون جهوداً في سبك افكارهم وعواطفهم . وان اعظم الروائع الفنية هي التي تنحل فيها جميع الاجزاء الى معان تنبثق من الشكل اولا ومن الموضوع ثانياً .

ويبدو هنا ان رودين يخالف بعض النقاد الذين يزعمون ان الفنان لا يلجأ الى التصميم والتفكير « بل لا يعرف نوع عمله حتى ينتهي منه فيشاهد انتاجه ويكون هو اول المدهوشين » . هذا ما يقوله « الان » في كتاب « عشرون مثالة في الفنون الجميلة » ، ولكن ليس بين الرجلين تناقض بالمعنى الحقيقي « فالان » لا ينفي التفكير عند الفنان لكنه يشدد على عنصر الالهام وهو كما يرى السيكولوجيون فكرة مفاجئة لا واعية يتقدمها دور واع من التفكير والاختمار الذهني . وبهذا يثبتون الفكرة الواحدة دون ان ينكروا الاخرى ، اي ان الانتاج اللاواعي يسبقه دور جهاد وتفكير واع .

— الغموض في الفن — : الغموض هو مقدرة الاثر الفني على اثارة الاحلام والافكار التي لا نهاية لها . « وبما ان الفن انعكاس نفسية الفنان لا بد له من ان يقول شيئاً . فالمصور المنظري يرى انعكاس النفس الكونية في الاشياء ، في الاشجار والازهار والاكام والسهول . كان « كورو » يرى الحنان منتشراً على رؤوس الاشجار وعشب المروج وسطوح البحيرات اما « ميلله » فرأى في الطبيعة ألماً وتجلداً .

ان جميع لوحات دافنشي تحيط بها علامة استفهام وهذا ما يرفعها الى مصاف الفن الرائع . وفي « مغناة الحقل » لجيورجيون ما ينم عن فرح الحياة العذب ولكن يشوبه نوع من النشوة الكئيبة : ما هو الفرح ؟ من اين يأتي وكيف يذهب ، انه لغز الوجود .

في « المعفرات » (ميلله) تقف احدى النساء الكادحات في الشمس المحرقة وتنظر الى الافق البعيد وكأن في وقفتها سؤالا يخترق وعيها كوميض البرق : لماذا ؟ ما الفائدة ؟

وفي تماثيل رودين ما نشعر بضيق الروح المربوطة بالجسد وسعيها الى الانطلاق : في « بورجوازيي كاليه » نرى النفس المأخوذة بفكرة الخلود السامية تجر الجسد المتردد وكأنها تصيح به : « انك تتردد ايها الجيفة ! ! » في « المفكر » نرى صورة التأمل الذي عبثاً يريد استيعاب المطلق فيجمع في قبضته جسداً رياضياً ويطويه حتى يكاد يسحقه . في « رأس بلزاك » نرى الرجل العبقري وقد انتابته الرؤى الجبارة يهز الجسم الضعيف وينفضه كالثوب الخلق ويرغمه على الارق ويحكم عليه بالاشغال الشاقة .

لقد صور رودين الكتاب وقد احنوا رؤوسهم تحت ثقل الافكار اما الفنانون الذين عرضهم فيتطلعون الى الامام بنظرات تائهة لان احلامهم تسوقهم ابعد مما يرون وأبعد مما يستطيعون التعبير. وفي جميع تماثيله تتردد فكرة «برم الروح بقيود المادة» وعلى مثال رامبراندت يستنير اشخاصه بنور علوي ويسمعون نداء اللامتناهي».

— بين فيدياس وميكل انج — في هذا الفصل يشرح رودين بعض اسرار مدارس النحت المشهورة: المدرسة اليونانية او مذهب فيدياس، ومدرسة ميكل انج استاذ النهضة او الرنيسانس ثم يشير الى مذهبه هو في النحت وما علاقته بها.

ونلاحظ ان الاتجاه الفني كما يشرحه رودين يمثل اتجاه العصر الذي ترعرع فيه او كأنه ملخص جهود العصر وميوله وفلسفته. فالنحت اليوناني ذو تصميم رباعي اي من اربعة خطوط: خط الكتفين، خط الحوض، خط الفخذين والركبتين واخيراً خط القدمين. فالخطان الاولان يتجهان من اليسرى الى اليمنى بعكس الخط الثالث اما خط القدمين فيتجه كالخطين الاولين بينما تقف القدم اليسرى للتمثال وراء القدم اليمنى. (راجع مثلا تمثال فينوس دي ميلو وتمثال النصر).

وينشأ من مجموع هذه الخطوط الاربعة تموج بديع في الجسم وجو من الهدوء والاتزان ووقفة ملأى بالرشاقة والاسترسال لان خط الثقل يمتد من العنق الى كعب القدم اليمنى التي تحمل ثقل الجسم بينما تبقى القدم اليسرى حرة لا تلمس الارض الا من طرف الابهام وليست الا نقطة ارتكاز اضافية ولهذا تستطيع الحركة او الارتفاع من غير اخلال في اتزان الوقفة.

وشيء آخر يلاحظه الفنان في التمثال اليوناني: ان اعلى الجزع ينخفض من ناحية الساق التي تحمل الجسم وبهذا تنخفض الكتف اليمنى وترتفع اليسرى مقابلها. وهذا يحدث في الجسم شكل مروحة او آلة موسيقى هوائية تنطبق من جهة وتنفتح من اخرى وهذا التوازن المزدوج في الكتفين يزيد في صفاء المجموع.

واذا نظرت الى الصورة الجانبية للتمثال رأيت ارتفاع الصدر وتقعّبه نحو السماء، وهذا يعرضه للنور الذي ينتشر ويتوزع بلطف على جذع التمثال واطرافه ويزيد في روعته وحسنه.

اما تماثيل ميكل انج فتتخذ شكلاً آخر. وعوض التصميم الرباعي نجد تصميما ثنائياً ذا خطين يحتويان جميع اجزاء التمثال ويؤلفان حركة انضمام وتجمّع ترمز الى الانضباط وقهر النفس عوض الانبساط المتموج الذي نراه في تماثيل اليونان.

وليس في الوقفة راحة ظاهرة بل جهد وتعب فالساقان تحملان معاً ثقل الجسم بدلا من ان تكون احداهما نقطة الارتكاز الرئيسية. وحركة الجهد تظهر في الخصر كما في مجموع الجذع الذي يرفع الكتف باتجاه حركة الخصر. وفي مجموع التمثال صورة تجمع تمّحي معها الفراغات ويتكتل الجسم كأنه قطعة واحدة ويتقوس الجذع من الجهة الامامية بينما في النحت اليوناني يتقوس من الوراء. وهذا الاختلاف يجعل بروز الظلال في تماثيل ميكل انج وبروز الانوار في تماثيل اليونان. فما معنى هذا كله؟

ان ميكل أنج أنشد في تماثيله ملحمة الظلال والكآبة بينما اليونان الاقدمون انشدوا ملحمة النور وحب الحياة.

ان تماثيل ميكل أنج تعني الانكماش والانطواء عوض الانفراج اليوناني. انها تعني النشاط القلق العنيف والسعي من غير امل النجاح. انها عذاب الانسان الذي تحركه آمال غير قابلة التحقيق وبكلمة اخرى انها صورة المثالية وما يصحبها من ألم وجهد وليس ميكل انج منفرداً في نظرته بل هو ملتقى الفكرة القوطية او الروح المسيحية المثالية في اصفى اشكالها، روح التصوف التي ترى الحياة زائلة وتتطلع الى ما وراءها، وقد سادت في العصور الوسطى وامتدت الى عصر النهضة.

اما اليونان فقد احبوا الحياة واتخذوا للعبادة تماثيل باهرة في جمالها، لذيذة للنظر والعبادة لكن رودين ينتقد فلسفتهم بقوله: ان آلهتهم لم تكن مصدر لذة وجمال فقط بل كانت احياناً مصدر عذاب واضطهاد وقد سقي سقراط كاس السم لانه شك فيها. ان الحرية التي تتمثل في تمثال النصر اليوناني قد انحصرت في افراد، في الطبقة المثقفة الممتازة، بينما كان ملايين العبيد يُساقون تحت السوط. وهنا نرى خطأ المثل الاعلى اليوناني، انه نظرة ضيقة تراعي امتياز الطبقات وهي التي ألهمت ارسطو دفاعه عن العبودية وجعلت المثاليين ينفرون من تصوير الطبقات المنحطة وينكرون الجمال في صغائر الاشياء والانحرافات الطبيعية.

لقد تأثر رودين بفن ميكل انج المثالي الذي يعبر عن الطموح والجهاد المؤلم ويتسامى الى المثل العليا لكنه يخالفه في نظرته اليائسة الى الحياة، فهو يريد ان نحب الحياة لاجل الجهد والالم اللذين فيها وهكذا يجمع في فنه بين فيدياس وميكل انج ويرينا كيف يستطيع الفنان ان يمثل وحده بواسطة روائعه روحية الاجيال وخلاصة الفلسفة وميزات العصور.

روز غريب



★

تعقد « الاديب » هذا الباب ، على مختار من الادب العربي العريق .
قصداً الى « تخمير » الادب العربي الحديث ، الذي بدأ يتميع في بعض من نواحيه ، ويتنوء في بعض من نواحيه
وخشية ان يتصل الافن بجوهره ، طاق هذا المجرى الشائع بالتركية والارواء

قصة نبل

(١)

وطاوي ثلاث ، عاصب البطن مرمل ... ببيداء ، لم يعرف بها ساكن رسما

اخي جفوة ، فيه من الانس وحشة ... يرى البؤس فيها – من شراسته – نعمى

تفرد في شعب ، عجوزاً ازاءها ... ثلاثة اشخاص ، تخالهم بهما

حفاة عراة ، ما اغتذوا خبز ملة ... ولا عرفوا للبر – مذ خلقوا – طعما

(٢)

رأى شبحاً وسط الظلام ، فراعه .. ... فلما رأى ضيفاً ، تصور واهتما

وقال ابنه – لما رآه بحيرة – ... أيا ابت اذبحني ويسر له طعما

ولا تعتذر بالعدم ، عل الذي طرا ... يظن لنا مالا ، فيوسعنا ذما

(٣)

تروى قليلا ، ثم احجم برهة ... وان هو لم يذبح فتاه ، فقد هما . . .

فقال : أيا رباه .. ضيف ولا قرى ! . ... بحقك لا تحرمه – تا الليلة – اللحما

(٤)

فبيناهم ، عنت على البعد عانة ... قد انتظمت من خلف مسحلها نظما

ظماء تريد الماء ، فانساب نحوها . ... ألا . انه منها الى دمها اظما

فامهلها حتى تروت عطاشها . ... فأرسل فيها من كنانته سهما

فخرت نحوص ، ذات جحش ، فتية ... قد اكتنزت لحماً وقد طبقت شحما

(٥)

فيا بشره ، ان جرها نحو اهله ... ويا بشرهم ، لما رأوا كلمها يدمى

وبات ابوهم ، من بشاشته أباً ... لضيفهم ، والام من بشرها اما

وباتوا كراماً ، قد قضو حق ضيفهم ... وما غرموا غرماً ، وقد غنموا غنما

الحطيئة

(١) الشاعر في هذا المشهد يصف متبدياً نهكه الجوع واضر به العدم ، فقد طوى ثلاث ليال ولم يأكل ، فعصب بطنه وشده برباط وثيق . . على انه معوز شديد العوز ومرمل شديد الارمال ، وفيه وحشة حتى من الناس ، وفي طبعه جفاء حتى ليرى البوس نعمة .

تفرد عن الناس واعتزلهم في منعطف من الصحراء ، مع عجوز له تضم بنين ثلاثة ، افرط بهم الهزال حتى ليظن الرائي انهم بهم الضأن وصغار الخراف ، وزاد عليهم حفي وعري . فما مرت بهم نعمى ابداً ذاقوا معها خبزاً جودته الملة وانضجته النار .

✲

(٢) وفي هذا المشهد يصفه وقد اخذت عينه طيف ظلام ، فاستبد به ارتياع . ولكنه وقع منه على ضيف ، فاهتم وتصور اي لبس صورة المحتفي المحتفل . كما لبست ذات نفسه حيرة من عدمه ورغبته بالاكرام ، وكانت حيرة ناطقة بادية جعلت ابنه يتمنى عليه لو ذبحه ، وخلاهم الذم .

✲

(٣) وهذا المشهد يعرضه وقد اعمل رويته قليلا ، فيما عرض ابنه . على انه تلبث امداً في ذعر الابوة الحادبة الحانية ، وبلغت ازمة الشعور عنده قمتها ، فهو تحت صراع عنيف بين السخاء بابنه اداء للواجب ، وبين الضن به ارواء للابوة . بيد انه اعيا بينهما ، فراح يرجو السماء ويصل بها اسبابه ، في لوعة من الرجاء ومرارة من الفقد .

✲

(٤) وفي هذا المشهد نراه وكأن السماء حدبت عليه ، فما هو حتى عرضت له في اقصى مرمى الطرف ، عانة كوكبة من حمر الوحش ، تضم اتاناً وقطيعاً وقد انتظم اثرها مسحل حمار وحشي كبير . وكانت قاصدة تريد الماء ، فخف نحوها كما لو انساب ماء خلل رمال ، فهو من ازمة مشاعره مستعر الهوى لاهب الفؤاد ، وقد وقع فيها علي ما به يبترد .

على انه كان عربي الشيمة ، فما فاته الرفق حين ادرك الامنية ، باتان هوت وهي نحوص متملئة ، استوت فتاء ورأمت فلواً .

« ابو عباده »

التنويم المغناطيسي

من مسمر الى شاركو

بقلم
الدكتور نقولا فياض



عرف شاركو الخطة المثلى في درس التنويم وما يتفرع منه فانتهجها وجاءت النتائج مؤيدة صواب فكرته فاتسعت آفاق المعرفة في صدر هذه المئة واصبح للتنويم مكانته العلمية. ولا يسعني في هذا المكان الالمام بالموضوع من كل اطرافه فاكتفي بذكر بعض الاشياء التي تهم القارىء.

لا ريب ان هناك حالة تنويمية يمكن احداثها وربما ظهرت عند البعض من دون ما سبب، وهذه الحالة لا دخل لاي سائل فيها، حسب المرء ان ينظر الى شيء منير ويحدق اليه طويلاً لتتولد فيه.

وفي هذا النوم المجلوب تختلط الذكريات فتبدو له اشياء من حياته العامة واشياء من حالة نوم سابقة.

ويصيبه ما سميناه سدر الاحساس بايحاء من المنوم او بدون ايحاء. ولا حاجة لان يكون هذا الاخير ذا ارادة خارقة لخلق هذه الحالة بل يمكن القول انه لا يوجد رجال موهوبون اكثر من سواهم للمقدرة على التنويم.

ولا يقتصر الايحاء على الاحساس بل يتناول الحركة ايضاً فيدفع الخاضع لسلطانه الى اعمال خارجة عن ارادته يأتيها وهو نائم او بعد ان يستيقظ، على شرط ان لا تكون هذه الاعمال مما يأباها عليه ضميره او تتنافى مع تربيته واخلاقه.

وقد رأيت يوماً مريضاً يتناول وهو في حالة النوم المجلوب سكيناً ويطعن بها المسند الذي على سريره وعندما كان يؤمر باتيان عمل غير مباح او فيه خطر فانه كان يقاوم بشدة ويخلص نفسه من هذا المأزق بنوبة عصبية ثم يستيقظ دون ان يكون قد اطاع الامر.

وقد حاول الباحثون من عشاق الحقيقة التثبت من صحة الحوادث المتعلقة بالتنبؤ او انتقال الافكار وما شاكل فلم يظفروا بطائل وكل التجارب التي اجريت في هذا السبيل لم تسفر الا عن تكذيب المزاعم التي كانت حماسة العوام تزيد في امتدادها. وعلى الرغم من ايمان البعض بها فلم يتمكن العلم من ادخالها في عداد الحقائق الراهنة.

وقد استطاع شاركو وتلاميذه بمجرد الارادة تجديد مثل هذه الحوادث التي كانت القرون الوسطى تنسبها الى السحر واماطوا النقاب عن اسرار كثيرة فخدموا القضاء خدمة جلى فلا يصدق بعد اليوم كل شاهد يدلي الى المحكمة بامور كانت فيما مضى سبباً لاعدام من يتهم بها.

منذ خمسين سنة ظهر كتاب للشاعر الهولاندي هويسمن هذا الشاعر الذي عاش ومات في باريس وكان من اساتذة المدرسة الواقعية كان يحمل بين جنبيه روحاً غير مطمئنة تتجاذبها الغلمة والصوفية فجاءت كتاباته مرآة لمزاجه وذاتيته الغريبة وفي كتابه هذا يذكر الرقية والتعزيم وتهييج المرء للحب او البغض والتأثير عليه بواسطة مثال او صورة له والشيطان المتذاكر اي الذي يظهر بصورة الرجل لاغراء المرأة في نومها، او المتآنث اي الذي يظهر بصورة المرأة لاغراء الرجل كذلك. ويذكر ايضاً ما يسمونه القداس الاسود ويدعي ان العلم الواقعي سيفضي الى اقامة هياكل لعشتروت وبعلزبوت وان خوارق الطبيعة عديدة لا تعلل بغير تدخل ابليس اللعين.

ولكن مدرسة السالبتريار نظرت في هذه المسائل على غير طريقة هويسمن وخطت تعاليم شاركو وريشه ومحاضرات رنارد في السوربون صفحة جليلة الفائدة في تاريخ جهالة تلك العصور.

لقد القى شاركو مسائل السحر والشعوذة والتعزيم جانبا واخذ يدرس الهستريا في السالبتريار على ضوء العلم فوجد ان هذا المرض خاضع لنظم لا تتبدل واظهر كيف ان المهسترة تكون في شبابها مأخوذة بالالوان الفاقعة والدمى اللماعة وفي كبرها بخيلة متنفشة الشعر كالساحرة. ووصف عدم الاحساس النصفي اي الذي ينتاب نصف الجسم والاحتراق والالام الاخرى، كما وصف الكرة الهستيرية ووجع المبيض المنذر بقرب النوبة: وقسم النوبة الى ثلاثة فصول:

الفصل الاول – يبدأ بالجمود والغيبوبة فتنقلب اليد وتجحظ العين وتنحني المريضة كالقوس فلا تلمس السرير الا برأسها ورجليها ثم يأتي التشنج فتضرب الهواء باليدين وقد مُدّت من الكف ثلاثة اصابع وانطوى الاثنان عليه.

الفصل الثاني: هو فصل الحركات الواسعة الكبيرة فتقفز المريضة في الهواء ثم تسقط وتقفز ثانية وتأخذ الاعضاء بالتكمش فتجمد المريضة وهي ملتوية الى الوراء او زاحفة على بطنها او ممتدة على الارض وقد بسطت ذراعيها كالمصلوب.

الفصل الثالث : تهدأ الزوبعة وتبدأ الاوضاع الثابتة فتظهر على الوجه علائم الانخطاف والدهش او الخوف او السخرية حسب التخيلات التي تصيب المهسترة فتقصها في هذيانها . ومن مميزات هذا الهذيان انه على اتصال بالفكرة المسيطرة وعند نهايته ترجع المريضة الى وعيها وتبكي بغزارة وقد زال كل شيء . والعجيب انها تخرج من كل هذه الهزات ولا يكاد يظهر عليها اثر للتعب .

ورأى شاركو وجهاً للشبه بين هذه الاعراض وما يروى عن السحرة والشياطين والمشيطنين فعمد الى البحث في الاوراق والكتب بمعاونة تلاميذه والتفتيش في الدعاوى القديمة التي كانت نهايتها التعذيب والحرق بالنار فوجد هذه الاعراض مذكورة بكاملها كأنها صورة طبق الاصل. لما كانوا يعتقدونه من الادلة القاطعة على دخول الشيطان جسم الانسان

وهكذا فان الخدر الجزئي كان يسمى « طابع الشيطان » ويكفي وحده ليقود الى المحرقة . وعدم الاحساس والصمت لدى تعذيب الاستنطاق هو كذلك من صنع الشيطان.

وتشنج الوجه ان هو الا تكشير اللعين عندما يأتي وينظر وجهه فيه كما في المرآة .

والقفز في الهواء من عمل بعلزبوت الذي يرفع الجسم عن الارض والاصابع الثلاثة الممدودة اعتراف من ابليس بالثالوث الاقدس .

والشعور بالكرة الصاعدة من الصدر الى الحلقوم عمل من اعمال السحر .

والزحف على البطن يدل على موقف الشيطان عندما يتغلب عليه التعزيم لاخراجه

وهيئة المصلوب استهزاء بالموت المقدس

والشيطان المتذاكر او المتأنث هو ما تقصه المهسترات في السالبتريار من الاحلام عن اعتداء طبيب او تلميذ الى آخره

فاذا بالمشيطنين الذين كانوا يحرقون ولا ذنب لهم غير هذه الاعراض والدلائل فئة مسكينة مصابة بهذا الداء العصبي الذي يقال له اليوم هستريا

هذا ما وصل اليه شاركو في دروسه عن الهستريا والتنويم ولكن ذلك لم يمنع هذه العقائد ان تظل راسخة في بعض الاذهان ولاسيما ما تعلق منها بالتأثير عن بعد او بالواسطة وهو ما يقال له envoutement او الشعور عن بعد اي Télépatie .

اما التأثير بالواسطة فيكون على الشرح التالي :

اذا ابغضت رجلاً الى حد ان تتمنى الموت له ولكن لا الى حد ان تخاطر بحياتك فانك تصنع او تكلف من يصنع لك صورته من الشمع ، ولا بأس اذا لم تأت الصورة على ما يرام في مشابهتها للاصل فان الشيطان يتسامح في ذلك ولا يتشدد فيه . ثم تضع على هذه الصورة منديلاً تسرقه من عدوك فتنقل به الاحساس من جسم العدو الى الصورة وبعد ذلك فكل وخزة ابرة او ضربة او تهشيم للصورة يكون فيها العذاب والموت الشنيع للرجل الذي تكره .

هذه العملية كان عقابها في الماضي النار ، وكم ذهب من الناس ضحية لها لاقل تهمة تسند اليهم دون دليل او برهان ، ومن الصعب نزع هذه العقيدة المتأصلة في النفوس ، حتى ان هويسمن نفسه ظل تحت سيطرتها فادعى انه عرضة لضربات سائلية اي ناتجة عن سائل يغزوه به عدوه ليلاً حتى ان الهر الذي كان يربيه كان يشعر في الوقت عينه بمثل تلك الهزات .

ولا غرو اذا كان هويسمن وهو استاذ المدرسة الواقعية من المؤمنين بهذا فان قسماً كبيراً من الادب في اواخر القرن الماضي كان متجهاً نحو الصوفية والروحانيات .

وقد اظهر العلم الحديث اهتمامه بهذه الحوادث قصد دحضها لا اثباتها وكان من مدير مدرسة البولتنيك في فرنسا ان اجرى تجارب في هذا الشأن فنجح فيها على مسافات قصيرة اي ان الرقية تفعل لا من بلد الى بلد بل على بعد ثلاثة امتار بالاكثر واليك البيان .

تنوم المريضة ويخرج منها الاحساس اي يجعل جلدها لا يحس وينتقل الاحساس الى طبقة من الهواء على بعد مترين منها فاذا قرص الهواء او دغدغ على هذا البعد تصيح المنومة او يأخذها الضحك كما لو كانت الدغدغة عليها

واذا حملت حساسيتها بدلا من الهواء كأساً من الماء او دمية من الشمع فيكفي لمس الكأس لتشعر المريضة في جسدها بهذا اللمس ويكفي الشد في شعر الدمية لتحس المريضة بالشد في شعر رأسها . واذا ضربت الدمية تتألم المريضة ، ومن الالم الى الموت عند تحطيم الدمية لا يبقى الا خطوة يخطوها اولئك الذين يحملهم الخيال الى ابعد ما يمكن

واجريت التجارب ايضاً بالعقاقير فيسمم بها العدو عن بعد دون ان يستطيع اذكى الاطباء ان يجد اثراً للسم في احشائه

تلك كانت حالة العلم فيما يختص بهذه الشؤون عندما اراد « هارت » احد الاطباء الانكليز التحقيق فيها فاجرى سلسلة من التجارب نلم بها في المقال الاتي .

نقولا فياض

الرسالة المتأخرة



بقلم السيدة وداد سكاكيني

تقدم الضحى وتوحيدة عاكفة على رسالاتها ، تكتب فيها سطراً وتمحو سطرا ، حتى بلغت ثلاثا .

ختمت رسالتها الاولى وهي تتمثل وجه عزمي مطلًا عليها مقبلا نحوها بابتسامته العريضة ، انه لينتظرها قادمة من بعيد ، فيصلح من شأن هندامه ويحكم وضع نظارته على انفه ويتلمس رباط رقبته بأنامله ، فاذا اقتربت منه خافقة متبرجة خف اليها شيقاً متلهفاً ، ، وكأنها فارقته شهراً ، وكان معها بالامس يلهو ويعبث ويطمع بالانتصار على منافسيه في حبها .

ولما انتهت توحيدة من هذه الرسالة القت اليها بالها ، فجعلت ترى عزمي من خلال السطور مثل صياد ينظر الى قنيصته في حبال الشبكة ، وكأنها اودعت الرسالة رقية من السحر ، فاشبهت شيخاً يكتب الحجاب ليزيد به اثقال الصريع ، ولم تشعر الا ويدها تمسك بمشطها لتسرح شعرها لاهية به ذاهلة ، وكان يطيب لها ان تمتشط الفينة بعد الفينة كلما حاكت مكيدة او كتبت رسالة . وكانت توحيدة تعرف من أمر عزمي ان ماله موفور في يومه ، غزير في غده ، فوالده مجد الدين باشا شيخ هم ، هامة اليوم او غد ، ولطالما أطمعها بثرائه منه ، واضعاً على عينيها الجميلتين أملًا يغشيها لئلا ترى دمامته التي كانت تشمئز من التحديق اليها ، فلم تكن تبذل له من ودها اكثر مما يبذل الغني الشحيح من ماله للشحاذ الملحاح .

وكان عزمي اذا خلا الى نفسه هاج فيها هواه ، وطافت بخاطره ذكرياته مع توحيدة ، فأهمل المذاكرة وضاق صدره بالدراسة ، فأخذ يعلل نفسه بفتاته التي شغلته وكانت سبباً في اخفاقه بالامتحان ، وقد طوحه الهوى في عقوق الاب فكان يطلب من الله ان يتوفاه .

اما توحيدة فكانت تحب الصيد الكبير ، فلا تجلس كفقراء الصيادين على ضفاف النيل ، سناراتهم الصغيرة في ايديهم قانعين بضئيل السمك ، وانما كانت مثل صياد من الفحول يتوسط اللجة بمركبه الضخم ليفوز بأكبر بنات النهر وكذلك كانت توحيدة بنت النيل تنصب حبالة جمالها لاغنى الشباب مالاً وعلما .

انها لتبتسم عن مثل الاقاح ، وتهز كتفيها وهي تمشي ولا هزة عندليب يغرد ، وكانت هيفاء القوام ، خلابة الملامح ، تمضي فيفوح شعرها الداكن المتهدل على كتفيها كأنه ريش طاووس ، وقد اتقنت المرح والدلال ففتنت طلاب الجامعة بجمالها وحار في أمرها غزاة الحب منهم ، حتى عجز دهاة هذا الفن عن اكتناه سرها والنفاذ الى خباياه ، وكانوا فيها بين مؤكد لسذاجتها وطيبتها وبين مدع عليها الكيد والدهاء .

كانت سياستها في حياتها الجامعية بين الشباب كسياسة معاوية ، فقد مدت بينها وبينهم خيطاً من نسيج العنكبوت ، لا ينقطع على وهنه مهما شدت ، وبهذه السياسة غنمت هدايا ، وشهدت حفلات ، واستمتعت بمتنزهات .

وطوت رسالة عزمي ، ثم طرحتها جانباً كأنها انتهت من امره ، فتناولت رسالة حامد ، وأطرقت ، فطار بها الفكر الى اول يوم عرفته فيه ، وعجبت ان يكون كلفها نصباً ، واخذ من وقتها اكثر مما ابتزت من ماله ، ولكنها كانت تشعر وهي تتذكره انها آثرته على غيره ، فابتسامتها له واسعة الافترار ، وقلبها حين تراه خافق بشيء من الحب ، ولولا انه فتى غرير يتظاهر بالغنى لاسلمت اليه قيادها . فتنازعتها الحيرة بشأنها ، أفحقاً كانت تحبه ام انه كغيره من صحبها الذين تفضل فيهم الجيوب على القلوب وكيف كان رأيها فيه فان هذه الرسالة التي بين يديها ستجلو لها حقيقة امرها معه .

وطاف ببالها خيال الهائمين بها ، وكأنهم الفراش حول المصباح . كانت توحيدة تعتز عليهم وتتأبى ، ولا يزال احدهم يستعطفها ويتحبب اليها حتى تلين ملامحها ، وتلوح له بابتسامة تفتر عن مكر واغراء فاذا اقبل عليها تقلصت بشاشتها وفتر دلالها ، فوجدها صنماً بارداً ليس فيه معنى من معاني المودة ، ولا يبوح بسانحة من سوانح الهوى ، فينقلب من عندها حائراً متعثراً .

لقد انقادت لتوحيدة نفوس الهواة ، الا نفساً واحدة بقيت شامسة عليها متجافية عنها ، فجعلت تقتل وتحتال لاخضاعها ، وبلغ من فنها في اصطناع الوداعة وتكلف

الحياء ، ان ادخلت الشك على آلة التصوير ، فهي لم تهد صورتها الا الى حامد الذي عرف سر قلبها ، فراغ منها ، وزهد في حبها ، وكان يقارن بين صورتها وحقيقتها ، فيرى الصورة حيناً عذراء متبتلة وحيناً رقطاء متسللة .

وكانت توحيدة بعد هذا المطاف الطويل تفكر جاهدة في الشاطىء الذي ينبغي ان يرسو فيه فلكها بعد ان تقاذفته رياح هادئة وأمواج صاخبة . .

جلست بعد ان كتبت رسالاتها الثلاث تفكر في شأنها ، فعرضت على نفسها هواتها ، كما يعرض الجوهري على الغنية الحسناء صنوفاً من الخواتم ، وفيما كانت تميز بين هذه الخواتم الانسانية اربدت سحنتها وقطبت حاجبيها وبربرت ، اذ لمع في خاطرها خيال طالما أزعجها وأقض مضجعها ، فمدت يدها الى الرسالة الثالثة ، وفها بلفظ الشتيمة واللعنة .

قالت لنفسها : ستقع هذه الرسالة كنذير حرب . . . ولم تكن هذه الرسالة من النوع الذى تولى لينة الكلام مغرية المعاني ، وانما كانت ضرباً من التهديد والوعيد .

كانت لخصم عنيد لا يعرف رحمة في دعواه ، هو فتاة لعوب كانت تنافس توحيدة على قلوب الشباب ، بما اوتيت من فنون الانوثة وحلاوة الكلام ، ولو وهبت الوجه الجميل لشغلت الهواة عن زميلتها ، على انهم كانوا رعية استعمار بين دولتين متنافستين ، منهم من يستخذي لتوحيدة ويرضى بتأبيها ، ومنهم من يؤثر عليها هنيّة ، لانها لا تحمله النفقة الباهظة ولا تجور عليه وتتجنى ، فهي عنده ثمرة دانية القطوف ، ونبع اذا جهد الظمآن في السعي اليه ارتوى ، وكانت توحيدة لا ترى عثرة في سبيلها غير هنيّة ، فاذا تزحزحت من طريقها طابت لها الحياة واصطفت بغيتها التي تشاء .

شردت توحيدة بخاطرها وهي تقرأ رسالة هنية ، ثم ارتدت الى نفسها ، فطوت الرسالة وقالت : ان فعلت عندها رسالتي فسأترك لها المعركة وافوز بكبرى الغنائم . . .

وكان لا بد لتوحيدة بعد هجمة الشباب وتهافت الراغبين فيها من ان تقرر مصيرها ، فقد هداها العقل الى دنيا السلامة ، ورأت ان رسائلها كانت خطة مفروضة عليها لهذا المصير ، فهي تدفع عنها برفق ولين صحبة عزمي وتدني اليها بود ودهاء صحبة حامد وتهدد بعنف ووعيد زميلتها هنية .

ودنت عطلة الصيف ، فانقلب الناس الى ضفاف النيل وشواطىء الاسكندرية ورأس البر ، وكان فيهم بعض هواة توحيدة ، فجعلوا في مصيفهم يتسقطون اخبارها ويسألون عنها في الملاهي التي ترتادها حتى ترامى اليهم انها تقضي المصيف مع حامد الذي حطوا عليه وحده عبء الحسد .

وعاد العروسان الى القاهرة فكان حامد مثل متخوم انقلب عن المائدة بعد ان طواه الجوع ، فوجد ألم الجوع أشهى الى نفسه من تخمة الطعام ، وكان يخيل اليه من قبل انه طعام اهل الجنة ، ومضت به شهور احس فيها ان شعاعاً كان فيه بدأ يخبو ويشتعل مكانه وقد الغيرة والتوقي ، لقد نسي كل هيامه بتوحيدة وبرزت امام عينيه بحروف كبيرة سيرة حياتها كما كان يرويها له صحبه وكما اوقرت بها نفسه هنية ، وكانت كثيرة التودد اليه .

ومات أبو عزمي ، فورث منه مالا وفدادين ، فأسفت توحيدة على ما فرطت اذ لم تجد حامداً كما كان يدعي ، وغدت لا تدري كيف تبدل بعد زواجه فصار فاتر المحبة صدوفاً متكلفاً ، فخشيت الشماتة ، وبذلت له ما يشتهي ويتمنى حتى مد يده الى مالها ، وكانت عليه حفيظة حريصة ، فنسيت من اجله قانون الاقتصاد ووصايا البخلاء .

وان من الرجال من يبقى ابداً ، لا يحب في المرأة الا نفسه فيصبو لديها الى راحته وأثرته ، كذلك اقبل حامد على توحيدة ، فأكب على مائدتها آكلاً كل ما عليها ، وكان مثل محروم أمسك بعظم دسم من اللحم فعرقه ولما بقي بيده العظم طرحه .

وحين نفد مال توحيدة هبت من حلم الفتاة الى حقيقة الحياة ، فطال بينها وبين زوجها النقار والشجار حتى انقطع عزمي عن البيت اياماً ، وما راع توحيدة وهي في وجمة الهموم وهزيمة القائد الا رسالة من هنية كانت جواباً لها متأخراً بعد سنتين ، ما كادت تقرأ سطرها الاول حتى مزقتها وظلت تلمع بين عينيها فاتحة الرسالة بأفدح كلمة تنصب في مسمع المرأة : عزيزتي المطلقة !

القاهرة — وداد سكاكيني

ليلة ممطرة

للآنسة نازك الملائكة

بغداد



الآن يا نجمي تغيب ولم يحن وقت الافول ؟
الان والليل الجميل يريق ضوءك في الحقــول
والزهر تحت الليل نشوان بشرقــك الجميل
والنهر والشطآن تضحك تحت اشجار النخيل

*

الان تغرب يا لمأســاة الجمــال الذابل
يا نجمي المأسور في كف الضبــاب الرافل
يا فيلسوف الليل ، سر الوجــود الذاهل
عبثاً أناشيدي الى اضواء نجم آفــل

*

رحماك يا نجمي الجميل متى نهــاية ليلتي ؟
ومتى ستنحسر الغيوم وتستكين كآبتي ؟
قد شاق قلبي ان احس الصمت تحت خميلتي
وتجوب عينيّ الفضاء وفي يدي قيثــارتي

*

ما زلت انتظر السكون وليس غير صدى المطر
والريح في سمع المساء تئن مــا بين الشجر
لا طير يمرح في الحقول ولا اريج ولا زهَر
لا شيء غير صراخ رعد هاتف بأسى البشر

*

اين الفضاء الحلو؟ أين الصحو؟ أين سنا النجوم
من جمّع المطر الكئيب وبث في الليل الغيوم؟
يا ريح رفقاً بي ورفقاً بالعرائش والكروم
رفقــاً بقمريّ المروج فقد امضته الهموم !

*

قد كان في قلبي أمــانٍ يا رياح فختهــا
قد كان في هذا المســاء مفــاتن فمحوتهــا
قد كان في المرج الجميل عرائشٌ أذبلتهــا
قد كان في ثبج السماء كواكبٌ اطفأتهــا

*

وبقيت في الليل الكئيب اصيخ للمطر الكئيب
وعلى فمي اللحن الغريب يصوغه قلبي الغريب
وتلوح لي خلل النوافذ ظلمــة الليل الرهيب
عبثاً أغني، وقدي فرويد ما يُطفى اللهيب

زيادة الخير شر ...

بقلم الدكتور سليم حيدر

★



عرفت مثلا سائراً اخطأ مرماه كالمثل القائل : زيادة الخير خير !

والامثال مرآة الشعوب ، تنعكس فيها غرائزهم واخلاقهم ، من مطامع ومطامح ، وجشع وزهد ، واستئثار وايثار ، وحب للحياة ونقمة على الحياة ، وفرق من الموت واندفاع الى الموت ...

والامثال ، على ما فيها من الاصطلاح والابتذال ، – بين معنى يجرجره السجع ، وسجع يصلصله المعنى – ، تكاد تجمع على قول الحقيقة ، بل تكاد تكون الحقيقة عينها ، الحقيقة كما يفهمها الشعب ، او كما يريد ان يفهمها الشعب ، او كما تنبثق – صافية او عكرة – من عقل الجماهير الباطن ! ...

والامثال ، على اختلاف اللغات واللهجات ، تتشابه معنى ومبنى ، ضاربة في معالم الارض ومجاهلها ، رسلا مبينة ، رسل الحكمة المستقاة من الحياة : بسمة الانتهازية لما هو كائن ، او صرخة المبدإ لما يجب ان يكون !

ومع هذا ، فما عرفت قولاً اخطأ مرماه كالمثل السائر : زيادة الخير خير ! ...

زيادة الخير شر ، وزيادة الشر خير ، وكل زيادة تنقلب الى نقصان ، كلّ زيادة ... زائدة اذا صح التعبير ، كل زيادة جاوزت حداً ...

• كالاغراس في المشاتل ، تتكاثف اسواقاً هزيلة مبتلة الورقات ، فاذا قويت الساق والتفت الاوراق ، مبشرة بتفتق البراعم ، وجب افرادها وغرسها متباعدة ، لئلا يقتلها التفاف الصداقة ...

كالافكار في قرارة العقل الباطن ، تتماوج خصلاً من ضباب حيوي ، كل ذرة فيه فكرة فعالة ، فاذا ما عمدنا الى اخراجها حول موضوع واحد ، تبددت وتناثرت ، واستكنّ منها ما لا حاجة اليه ، وبرزت الافكار المطلوبة حلقات من سلسلة منطقية ، تستمد قوة من العاطفة ، وسعة من الخيال ، ورقة من الاسلوب ، ودقة من اللغة ، ... وينصهر كل ذلك في بوتقة العبقرية ، ليخرج موضوعاً متسقاً ...

كالفطيم الهزيل ، اول ما فصلته الحياة عن ثدي امه ، لا يجب ان يعطى من الطعام ، الا بمقدار – مما وفر غذاؤه وسهل هضمه – ، ولا يصح ان يلبس الا ما يناسب درجة الحر والقر ، لئلا تفسد معدته ، وتتمدد امعاؤه ، ويمسي عرضة لاختلاف الفصول ...

كالاغراس في المشاتل ، يقتلها التفاف الصداقة ، كالافكار في قرارة العقل الباطن ، تقتلها غزارتها ، كالفطيم الهزيل ، تقتله كثرة الطعام واللباس ... كذلك كل زيادة تنقلب الى نقصان ! .

• زيادة الغيث – واي بركة ازكى من انهار الغيث ؟ – ... زيادة الغيث عاقبتها الجفاف : تطغى الانهر ، فتغرق المزارع ، فتشرق المزروعات ، فاذا لسعها الهجير ذوت ، وترك الاجداب عليها مسحة الخير الذاهب ! ...

• قليل من الخمر يفرح قلب الانسان ، فتلمع البواصر ، وتتفتح البصائر ، وتنشرح الخواطر ! ..

وكثير من الخمر يُذهب عقل الانسان ، فتتعكر الاذهان ، وتخمل الابدان ، ويغيم الوجدان . ويغني ابو نؤاس :

ما الغبن الا ان تراني صاحياً ... وما الغنم الا ان يتعتني السكر !

ويشجيني هذا الغناء ، ... واتمثل « بودلير » يتمرغ في حمأ الشوارع ، جاحظ العينين ، مدمدم الشفتين ، وقد غام وعيه في ثمالة الكأس ، فطغت عليه غيبوبة الحلم ، فاستسلم لها ، وانطوى على نفسه ، يشرف من كوة العقل الباطن على دوران الحياة ، متلذذاً ، مبدعاً ، عبقرياً ...

ويوشك ان يتسرب اليّ سدوره ، واهم بالمعتقة المغرية ، ولكن صاحب « ازهار الشر » يهتف بي من كبرياء سخره اللاذع ، وكأنه يتقيأ نفسه : لا ، لا ، فكل زيادة تنقلب الى نقصان ! ...

• زيادة الطموح – وهل اشرف مزية من الطموح ؟ : يرتفع بالمرء من دركة الحيوان الى شرفة الانسان ، ويسمو بالانسان ، على جناح المثل الاعلى ، الى مستقر الارواح القدسية – زيادة الطموح جمود واقعاد :

اديب عبقري ، زرقة السماء لون خياله ، واصطخاب الامواج رجع عواطفه ، والحكمة السلسال ينبوع افكاره ، والكلمة المنتقاة على مشفر قلمه ، وقد حفظ علوم الاولين والآخرين ... تستهويه

الترجسة الوسنانة، فهو شاعر، وتشجيه اخبار الاوائل، فهو مؤرخ. ويجتذبه التأمل في الحياة، فهو فيلسوف. وهو عالم وناقد وقصصي. كشاجم، كما قالت العرب! .. يحب كل شيء، ويود ان يكون كل شيء، والعمر لايتسع الا لاتمام شيء او بعض شيء.. والعبقري، بين مد الطموح وجزر القنوط، جامد مقعد، والمشاريع تغلي في رأسه، وقد يبدأ فيقف يراعه عند اول سطر، فهو لا شيء، او اقل من لا شيء، ... وفي اعماق نفسه صدى يحتضر شاكياً: زيادة الخير شر، وكل زيادة تنقلب الى نقصان! ...

● زيادة الاحسان – وهل أندى من الاحسان؟: عطف الميسور على المعسور، زكاة عن المال الحلال، امر الله، ووصية النبي، وعمل الصالحين، يفيض بركة على المحسن، ويسراً على المسكين، ويمسك رمق الفرد، ويحفظ كيان المجموع –، زيادة الاحسان عدم واقلال!

يضيق المعدم بحاله وعياله فيستجدي، فيصادف عطفاً مغرياً فيعتاد، فيلقي بحاله وعياله في الازقة، ويستعيض بالكسل عن العمل ... ويقتدي به اقرانه، ويسري الخمول في طبقات العمال، فيتسابقون رجالاً ونساء واطفالاً الى طرق الابواب ... وتمضي السنون، واذا بالامة طبقتان، معطية ومستعطية. الاولى تبذل العطاء على كره، والثانية تتدافع الى الطلب في شره، واذا بالمعدم المستحق – الرازح تحت كابوس الفقر المدقع – ضريراً او كسيحاً – يمد يده فتعود فارغة، فيرجع الى وكره خائباً، وكل اعتقاده ان قد نضب معين الاحسان، والاحسان يترقرق على ايدي المنة، ولا يستفيد منه الا المحتالون! ...

● زيادة العبادة – وهل احب الى الله من اطاعة اوامر الله؟: اقامة الصلوات الخمس، واقامة النوافل آناء الليل واطراف النهار، وصيام الشهر المبارك، والزكاة عن المال الحلال، وحج بيت الله الحرام، والاحسان الى ذوي القربى والمساكين وابن السبيل، واطاعة اولي الامر منا، وانصاف اليتيم، واحترام السائل، والامر بالمعروف، والنهي عن المنكر –، زيادة العبادة خبث والحاد! ألم يقل النبي العربي: «اياكم والغلو في الدين؟» ...

يطمع المؤمن بربه طمع الخادم بمخدومه، فكلما افرط في الصلاة والصوم زاد شغفاً بالجنة وخوفاً من النار، واعتقد بحكم الاستمرار ان الصوم والصلاة، وحدهما، مفتاح الجنة، وتناسى شيئاً فشيئاً اوامر الله في ما سواهما ... وما عليه، طالما هو يصلي ويصوم؟ فاذا تناهى في العبادة والتدين، حج البيت وعاد كأنه ابتاع زاوية في الجنة. وهو، لقاء ما يقوم به من الواجبات الدينية، يطلب الى الله يسر الحال وخلود المآل، وشفاء المرض وزوال العرض، فاذا اصابته مصيبة، عاتب الله عليها! وقد نسي هذا المؤمن الكافر – الساجد بدون خشوع، والمبتهل بدون ايمان – ان الله لا يشرى ولا يباع، وانه عز وجل أمر واكتفى فعلينا الاطاعة المطلقة، اطاعة الله لانه الله! لعله لم يسمع كلام الامام علي: «كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والظمأ» ولعل قلبه لم ينبض بحكمة امير المؤمنين: «ان قوماً عبدوا الله رغبة، فتلك عبادة التجار. وان قوماً عبدوا الله رهبة، فتلك عبادة العبيد. وان قوماً عبدوا الله شكراً، فتلك عبادة الاحرار!» – بل لعله لم يقرأ كتاب الله جل جلاله: «يوم لا ينفع مال ولا بنون، الا من اتى الله بقلب سليم.» صدق الله العظيم! سلامة القلب! ذلك هو الايمان من ألفه الى يائه، وكل عمل ديني يتم بلا سلامة قلب، يتم بلاايمان، ان الله لا يحب المنافقين! ...

● زيادة المال – واي متاع اغرى من المال؟: حفظ الجانب ويسر الحال، وطريق الرفعة ومعراج الدلال، – زيادة المال فقر وفساد:

يطغى على الغني حب الاستزادة، فيتزلق من رابية الاقتصاد الى هوة الشح، فيعمى عن واجباته نحو الله ونحو نفسه ونحو الناس، ويصح فيه قول صاحب «النهج» امام القائلين: «عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب. ويستأخر الغنى الذي اياه طلب. يعيش في الدنيا حياة الفقراء، ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء!»

ويقضي هذا الغني الفقير، فيتسابق اولاده الى تبذير ما جمعت يداه، ويعيثون في الارض فساداً، بين لعب وسكر واغواء.. وتدور الدائرة، وتذهب ثروة لا صاحبها عاش بها مرضياً، ولا وارثها عاش بها مكتفياً، ولا استفاد منها عضو صالح في المجتمع!

● زيادة الجاه غرور ...
وزيادة القوة شرور ...
وزيادة الود نفور ...
وزيادة الجمال فتور ...

... ولكن، لماذا الاطناب، وهو زيادة في الشرح؟ لعلي، انا الاخر، اخذت من حيث لا ادري، بالمثل القائل: زيادة الخير خير! ...

سليم حيدر

كيف نحارب الطائفية

بقلم

عبد اللطيف شراره

مهداة الى الاستاذ خليل تقي الدين

★

قل ان يجمع المفكرون في هذه البلاد على شيء ، وتلك علة الشرق من قديم الزمن على كثرة مـا أنبت من نوابغ ، وغزارة ما افاض من رسالات انســانية جليلة ، فكأنه حين يخصبُ في ناحية يجدب في ناحية اخرى تقابلها . وهكذا . . . تتخاذل معانيه ، وتتنازع قواه فلا ارضاً يقطع ، ولا ظهراً يبقي !! وكان من خصب النوع فيه ، ان كثرت طوائفه ، وتعددت وجهات نظره للحياة وللموت على السواء . مما أفضى بابنائه الى وضع مضطرب خاسر يغاير اهداف نابغيه كل المغايرة ، بحيث اصبحت افكارهم وآراؤهم وجهودهم في طرف ، واصبحت عامة شؤونه الاقتصادية والثقافية والسياسية في طرف آخر : تلك في القمة وهذي في الحضيض .

ولقد برزت هذه الظاهرة في حياته واتضحت لكل ذي عينين فما اطلّ عليه القرن العشرون حتى شهد النـاس منه سآمة الفكر ، وملل النظريات ، والتطلع الراكـد — لا المتحرك الواثب — الى الاعمال المادية المحسوسة البعيدة عن كل حذلقة وفلسفة . ولا شيء أدل عـلى هذه الحقيقة من حالة الادباء اليوم ، وتململ المفكرين ، وعجز حملة الاقلام حيال آفاته ومصائبه . هـذا العجز الذي مثله ولي الدين يكن بأدبه وسيرته وثورته أبدع تمثيل .

غير ان هنالك آفـة شرقية أجمع المفكرون على ضرورة محاربتها ، وحشدوا قواهم على غير عمـد منهم في سبيل مكافحتها وهي « الطائفية » هذه المصيبة الكبرى التي ابتلي بها لبنان عنوة عن اقطار العرب ، بل عنوة عن اقطار العالم بأسره ، فان فيه ما يزيد عن عشرين طائفة موزعة على اقل من مليون ساكن ، فاذا اضفت الى هذا العدد الظاهر منازع الاهواء الباطنة ، والميول الحرة التي تقسم كل طائفة الى طوائف ، بلغت بك القسمة عدداً تجد معه ان كل اسرة ، ان لم نقل كل فرد ، طائفة . . .

ولم يكن كفاح الاقلام ليجدي في هـذا المضمار ، لان كل قلم ينتمي — في نظر الجمهور — الى طائفة معينة ، فلن يكتسب موقف الاديب ، بالغاً ما بلغ من النبل والطهارة ، تلك الحصانة الروحية التي يستعلي بها على ريب الناس وشكوكهم وتأويلهم ، والاديب انما يكتب ، حين يكتب ليعيد الى الناس ما بعثوه فيه من تأثرات ، فهو بحاجة الى ثقتهم ، ومتى امتنعت عليه هـذه الثقة في موضوع ، وقف تأثيره فيه .

ثم ان هنـاك من يدعو الى « اللاطائفية » بروح طائفية ، وتلك من غرائب الظواهر الاجتماعية التي تحسس بها الجمهور وجعلته يكفر كفراناً تاماً بالخطب والمنشورات والابحاث والمقالات ، وتلك هي الظاهرة التي حدت بالاستاذ الصافي ان يقول هذا البيت الرائع في دلالته :

كثر الخداع اليوم في اقوالنا … فانظر الى من قال لا ما قيلا . . .

فكأن هذا الجو الفكري الذي نعيش فيه ، وننشق هواءه ، وضع الامة في حلقة مفرغة ، واشبع آفاقها بالشك والسخط والالم والعجز عن الثقة ، فلا تخرج من الطائفية الا لتقع في الطائفية . . . فكيف الخلاص ?

— ١ —

جلي ان التوفيق بين الدين والفلسفة محاولة عقيمة ، وقد قام بهـا ابن سينا منذ قرون فانتهى به الامر الى اعتباره زنديقاً من قبل رجال الدين ، قصير النظر من قبل الفلاسفة ، وهذا كل مـا ربحـه في تجربته ! كما وان التوفيق بين دين ودين انتهى على يد الكثيرين في اوروبا وفي الشرق الى مآس ردد التاريخ صداها . فكل نزعة ترمي ، رغم سموها ، الى توحيد وجهات النظر الدينية على صعيد الفكر ، تمنى بالاخفاق الذريع في الحقل العملي .

والانسان ، وبالتالي ، المجتمع الانساني ، ينطوي على غريزة دينيـة لا يجوز ولا يمكن اهمالها في كيانه النفسي والاجتماعي ، فالاستغناء المطلق عن العقائد الدينيـة امر ثبتت استحالته بله اضراره ، فالدين معنى قائم لازم ما منه بد .

ذلك ما فطنت اليه اوروبا في اواخر القرن التاسع عشر بعد موجات الالحاد التي اسبغتها عليها سخرية فولتير ، وفلسفة اوغستـ كنت ، فوجمت تغذي الحس الديني في نفوس اقوامها ، جاهدة ان تستعيد ايمانها بالحقائق الروحية العليا ، وما « تولستوي » في روسيا ، و « ماترلنك » في بلجيكا ، و « بورجه » في فرنسا الا حنـاجر تلك الصرخة الروحية .

واذا كانت بلادنا في حاجة الى شيء من اشياء الفكر ، فهي

محتاجة الى من يغذي في قلوب اهليهـا جلال القانون الاخلاقي ، ويدفع بها في فجوات النور الذي تنجلي به غواية الحياة ، وسحب الجهل ، وظلمات الشك ، وذلك لن يتم الا بايقـاظ الحس الديني الخالص من كل شائبة مذهبية ، او نغمة سياسية .

وفائدة الادب — كما ذكرت لنـا مرة — انه حين يصل ما انقطع بين النفس والحياة ، ويلامس حواسها البعيدة الدقيقـة ، وأدقها الحاسة الدينية ، ينمي الشخصية ، ويزيد في غناها واتساعها ، فلا يلبث ان يغير اتجاههـا ويعيدها خلقاً جديداً ، فيها من القدرة على المقاومة والطموح الى العلاء ، ما يجعلها سعيدة تبث من حولهـا السعادة .

ومتى كانت الحاسة الدينية نامية متزنة في نموها ، واعية من نفسها ، استطاع الاديب حينئذ ان يكافح الطائفية ، وكفاحه لن يكون بعد ذلك بالتوفيق بين المذاهب ، ولا بالحملات الالحادية المنكرة ، بل باستغلال الحس الديني في نشر التسامح ، والدعوة الى التعاطف ، وعمل الخير في جانب ، ثم في استغلال ذلك الحس ايضاً لنبذ التعصب ، وترك الجدال ، وتجنب الشر في جانب آخر .

— ٢ —

لا بد وان يتم هـذا العمل ، حين يشرع فيه ، بمراحل ، بيد انه وحده وان تم ، لا يكفي ، لان اضرار الطائفية لا تنشأ — في لبنان خاصة — عن العقائد المتناقضة ، فقد بلغ مستوانا العقلي درجة اصبحنا ندرك معها ضرورة « حرية الاعتقاد » فنبيح لغيرنا كما نبيح لانفسنا ان يعتقد ما يريد — وانما نشأت اضرارها عن المصـالح المتعـارضة ، اذ ليس للعقيدة كعقيدة اي مصلحة في الحياة ، بل تكون المصلحة لصاحب العقيدة كانسان ، اي كحيوان يحتاج الى الطعام والشراب واللباس والمأوى و . . . المرأة !

لذلك ، اخذت الطائفية على يد الانتداب صفة « بيولوجية » وهذا ما لم يحدث له نظير من قبل ، واظن انه لن يحدث من بعد ، فقد اصبح العامي في بلادنا يفكر — وفي الوقائع ما يبرر تفكيره ! — انه لا يستطيع ان يعيش اذا تحرر من طائفيته ، واذا شئت ، سرد لك اسماء الذين توظفوا ، اي عاشوا ، لا لشيء الا لانهم ينتمون الى الطائفة الفلانية او الطائفة الفلانية . . . فاذا طلب اليـه ان ينعتق من عصبيته الطائفية ، فكأنما يطلب اليه ان يحطم مادة حياته ! !

ازاء هذا الواقع البيولوجي اضطر الشارع ان يضع لها صيغة قانونية ، فأقحمت الطائفية في دستور الدولة ، واصبحت شرعـاً وعرفاً معنى من المعاني المقدسة كالحق او كالحرية ، على الامة ان تناضل من اجله ، وان تستشهد اذا اقتضى الامر في سبيله ! !

وجاءت الاحزاب والمنظمات والكتل الطائفية في هذا الدور من التاريخ تؤيد الصيغة القانونية بتكتلها وتنظيمها وتحزبها فلم تترك مجالا للنقد الحر ، ولا المغامرة الحرة . بل ردت للقيم القديمة جدتها في ان اظهرتها بثوب جديد وقطعت الطريق على مكافحتها في دنيا السياسة . ولكن الواجب يفرض ، مهما تأزم الموقف ، ان تنزع عن الطائفية صفتها الحيوية ، فهي اذا استمرت منجماً اقتصادياً يستثمره العجزة المتواكلون ، ويتوكأ عليه ارباب النفوذ المحلي في دعم نفوذهم تمكنت في النهاية من التغلب على كل عقبة تحاول ايقافها وصدها .

هنا ، ينبغي ان نعود الى قضية الكرامة الشخصية ، نثيرها في العقول والقلوب على اوسع واعمق ما يمكن ان تثار حتى تؤكد عبقريتها الانشائية في الشعب ، وتستفزه نحو الجهد المنتج في عالم الصناعة والتجارة ، وعلى الاخص في الزراعة ، ومن ثمة تنتقل به الى مراس الاستقلال في تكوين نفسه ، وبناء حياته ، ذلك الاستقلال الذي طالما اشادوا له به ، ورددوا ذكره على مسامعه ، وهو لا يفهم من حقيقته شيئاً ! وان يفيد الغاء المادة الطائفية من الدستور اذا لم تلغَ فعاليتها الحيوية من عقلية الشعب وطراز معيشته واساليب تفكيره .

— ٣ —

وهذا ايضاً لا يكفي ، فان تثقيف الحاسة الدينية ، وتعزيز معنى الكرامة في النفس ، امران شخصيان ، يستطيع المرء ان يحققهما في ذاته لذاته ، ثم لا يمنعانه من ان ينظر الى غيره ممن لا يشاركه احساسه نظرة عداء او احتقار ، فتبقى الطائفية موضعها ، تنفث سمها في اعراق الحياة الاجتماعية ، وعوضاً عن ان تظهر في علاقة الانسان مع ربه ونفسه ، تتخذ طريقها للظهور في علاقاته مع الناس ، وذلك ما نشهده كل يوم في سلوك المثقفين الراقين من ابناء هذا البلد ، فانه ، حين بني مجتمعنا اللبناني على اساس طائفي ، واختلفت ينابيع ثروته الروحية باختلاف المدارس والثقافات ، ضعف « الضمير القومي » ، واصبح الصحافي والموظف الكبير والطبيب والمحامي يزاول اعماله اما بروح انسانية مضطربة في مثاليتها ، واما استجابة للواجب الذي تفرضه المنافع الخاصة ، وندر من يزاولها ايماناً بواجبه القومي ، وخدمة للشعب ، وتحقيقاً لمعان روحية ينشدها ، ويجد اللذة في الجهاد من اجلها ! !

ولم يقف ضرر الطائفية في الناحية الاجتماعية عند هذا الحد ، فقد

كانت ولا تزال سبباً رئيسياً في تخلف المرأة اللبنانية التي انفقت قسماً كبيراً من جهودك في رفع مستواها الادبي، وصورت للناس ما ينتاب حياتها العامة من آلام وآفات. واثر الطائفية في كيان المرأة النفسي، هو ذلك «التعصب» الذي جعلها محدودة، ضيقة الافق، فلا تنشيء من اولادها الا كل متعصب ضيق الافق.

لا مفر في هذه الحال، من تشجيع الزواج بين مختلف الطوائف على نطاق واسع، اذ ليس ثمة من وسيلة انجع في تهديم العصبية، وافعل في توجيه المجتمع وضبط اعصابه، شريطة ان يراد من التشجيع اصلاح الاسرة، وتركيزها على اسس وقواعد اخلاقية وطيدة، اكثر مما يهدف الى تقوية الوجدان القومي، او التوحيد بين الطوائف، فان اقحام مثل هذه الشؤون في حوادث الخطبة والعرس والزفاف يثير الضحك، ويبعث على الابتسام العريض الطويل، ولا ينتج غير الضحك والابتسام ...

وقد يكون في انشاء وزارة للشؤون الاجتماعية، على نحو ما هو الامر في كثير من البلاد المتمدنة، تعنى بهذه النواحي عناية مباشرة، وتوليها الاهتمام الذي تتطلبه، ما يفيد بعض الفائدة في دفع هذا التفكك الاجتماعي.

الا ان قضية الطائفية، ادق واعقد من ان يحلها نائب او وزير، كما اثبتّ في احدى مقالاتك (١)، وليست الوحدة السياسية التي يعمل لها رجال السياسة، شيئاً يذكر في جانب الوحدة الروحية التي تتشخص فيها عبقرية الامة وتؤكد قيمتها في الوجود. ترى من يحقق هذه الوحدة؟

— ٤ —

الظاهر ان العبء ملقى على كاهل الادباء ورجال الفكر، لان رسالة عظيمة كهذه لا يتاح لاحد ان يحملها، فضلاً عن ان يؤديها، الا من اوتي الفكر النير، والقلب الشجاع. ولكن تأثير الادباء — كما رأينا — لا يكون الا في وسط متطور متحرر بعيد عن الطائفية. وبذلك ننتهي حيث بدأنا: «كيف نحارب الطائفية؟؟».

هذي هي الحلقة المفرغة!!

صيدا — عبد اللطيف شراره

(١) نشرتها جريدة «العمل» لسان حال «الكتائب» اللبنانية في عددها الصادر في ٢٠ تشرين الثاني

انتظار

★

«قمت لافتح لحبيبي، ويداي تقطران مراً، واصابعي مر قاطر على مقبض القفل، فتحت له لكنه تحول وعبر، نفسي خرجت عندما ذهب. طلبته فما وجدته، دعوته فما اجابني»

— نشيد الانشاد —

*

لم يزل خفق خطاها ناعم البوح رقيق
يسبق الوهم وينساب على جفن الطريق
يسفح الرعشة: ألواناً وظلا وبريق
وانا انسج وحدي غدها الحلو الانيق
اغزل الاوتار فجراً. اضفر اللحن شروق
وعلى الموج، بعيداً، اجذب النجم الغريق

*

فكرة انت، تهاوت، فتولتها العقول
قبلة انت، برتها شفة الله الجميل
فخدود خضلت، في غفوها السمح الطويل
وشفاه أمرعت، في فيئها الحلو الظليل
وأنا، بعد، تراب، غاية الكون الملول
انشد الوهم، بكفيّ، وابغي المستحيل

*

وتعودين .. انا منك، على دنيا المحال
ساغباً، في لهفة الموعد، استفّ الرمال
أترع البرهة: نجوى وصلاة وابتهال
وعلى جفنيك، أفوي الوعد ماء وظلال
واذا خفق الخطى، رف على جنح الخيال
فأنا، في وحدتي، انسج اوهاماً وآل

دمشق — بديع حقي

في سبيل التقارب الثقافي

الحياة الادبية في شرقي الاردن

بقلم عيسى ابراهيم الناعوري

يرجع تاريخ النهضة الادبية الحديثة في شرقي الاردن، الى عهد قريب جداً*. فزعماء هذه النهضة، او على الاصح ادباء الطليعة في هذه النهضة، ما يزالون كلهم احياء، ومايزالون بين الشباب والكهولة. فهي بذلك ليست بعيدة الجذور في تاريخ الادب المعاصر. وعلى الرغم من انها ما تزال في دور الطفولة، غير انه لا بد لنا من ان نذكر انها قد انجبت فئة – وان قليلة – من الادباء الشعراء، لا يقلون عن اخوانهم من ادباء الاقطار الشقيقة عمق تفكير، وسعة ثقافة، وروعة انتاج. واذا كانت اسماؤهم لم تتألق بعد في سماء الادب العربي المعاصر، كما تألقت اسماء زملائهم في مصر ولبنان وسوريا مثلاً، فليس ذلك لنقص في آدابهم، وفي مؤهلاتهم الادبية، وانما يرجع ذلك الى اسباب هامة، منها – وليس كلها – أولاً: عدم وجود صحافة – بمعنى الصحافة الحقة – تحمل بعض نتاج اقلامهم الى اخوانهم في خارج شرقي الاردن، ثانياً: عدم وجود دور للنشر آثارهم الادبية، والى جانب هذا عدم تمكن اكثرهم من طبع مؤلفاتهم على نفقاتهم الخاصة.

وللصحافة – في الواقع – اكبر الاثر في انعاش الادب، وفي اظهاره بأجلى مزاياه. فمجلات «الهلال» و«المقتطف» و«الرسالة» و«الثقافة» في مصر، تستطيع ان تعطي اصدق الصور عن الادب المصري، وكذلك «الاديب» خاصة، و«المكشوف»، و«الطريق» وغيرها في لبنان، وهكذا قل في كل بلد تزدهر فيه الصحافة الراقية.

اما في شرقي الاردن، فالصحافة متأخرة تأخراً مخجلاً. وهذا غريب جداً في بلاد يقوم على رأسها امير اشتهر بأنه اديب بليغ، وشاعر مطبوع. فهناك في عمان – وليس في غير عمان صحف – جريدة «الاردن»، وهي اقدم الصحف «الحية» حتى الآن» بعد مجلة «الشرق العربي» الرسمية. وقد قلت «الحية» لان هناك عدداً غير قليل من الجرائد والمجلات قد صدرت ثم ماتت في الفترة التي بين ظهور «الشرق العربي» و«الاردن»، – كما روى لي الصديقان الكريمان البدوي الملثم والعزيزي –. وهناك ايضاً جريدة «الجزيرة» وجريدة «الوفاء». وهذه الصحف الثلاث لا تحمل من نتاج الادباء الاردنيين البارزين الا النادر جداً، وفي فترات متباعدة جداً. وليست «الادبيات» التي تحملها – في الغالب – سوى عبث ناشئين، قل ان يحالفه التوفيق. وهي لذلك محدودة الانتشار جداً.

وفي الواقع ان تأخر الصحافة الاردنية ناجم – في الغالب – عن اضطرارها الى مجاملة كل «كبير» وانها اذا لم تجامل كل من بيده شيء من السلطان، واذا لم تفتح صفحاتها لكل صغيرة وكبيرة من اخبارهم، تمجدها وتشيد بها، فلا مجال لحياتها. وهذا امر يدعو الى الاسف والخجل معاً. وقد قال لي احد اصحاب الصحف في عمان مرة: «للناس رب واحد، اما نحن – اصحاب الصحف الاردنية – فلنا الف رب، وكل من هؤلاء الارباب، يتقاضانا عبادة دائمة على طريقة خاصة. والويل لنا ان نحن حاولنا ان نخرج عن طاعة بعض هؤلاء الارباب، او هممنا برفع الصوت بالاحتجاج، او بطلب المساواة بين صحفنا وصحف العالم كله، فاما ان يكون نصيبنا تعطيل صحفنا، واما النفي والتشريد»!

وصحف هذا شأنها، كثير عليها حتى ان تكون على مثل ما نجد عليه هذه الصحافة الاردنية من الخمول وقلة الانتشار.

ولقد حاولت جريدة «الجزيرة» في ابان نشأتها ان توجد حركة ادبية نشيطة – ولصاحبها الاستاذ تيسير ظبيان الكيلاني من المؤهلات الصحفية والادبية ما يجعله جديراً بخلق مثل هذا النشاط الادبي –، فالتف حولها طائفة جليلة المكانة من ادباء الاردن، وظلت مثابرة على نشاطها حتى كان تعطيلها الاجباري الطويل. فلما عادت بعده الى الصدور، في هذا العام، كانت قد فقدت نشاطها، وانفض من حولها الانصار اللامعون من الادباء الاردنيين، فاصبحت كزميلتيها «الاردن» و«الوفاء» خمولاً وقلة انتشار، حتى ان احد اصدقائي من ادباء الاردن البارزين لا يدعو هذه الجرائد بغير «السجلات المطبوعة» للدلالة على قلة انتشارها، وانحطاط انتاجها الصحفي والادبي.

وقد اضاف صديقنا الاستاذ امين ابو شعر المحامي منذ اشهر الى الصحافة الاردنية مجلة جريدة هي «الرائد» وهي المجلة الوحيدة

* نص محاضرة القيت في جمعية الشبان المسيحية في القدس في ٢٦ تشرين الاول سنة ١٩٤٥.

التي تصدر عن شرقي الاردن ، ثم هي الصحيفة الاردنية الوحيدة التي يعرفها بعض المثقفين خارج شرقي الاردن . ولا يخفى ما يبذل في اخراجها من جهود ونشاط ، ولكننا نستطيع ان نقول انها لا تمثل شيئاً مجدياً من الحركة الادبية الاردنية ، ولم تحاول حتى الان ان تخلق شيئاً من النشاط الادبي ، او جواً ادبياً منتجاً في شرقي الاردن ، ولا حاولت ان تقدم لغير الاردنيين صورة واضحة المعالم عن الادب الاردني ، بدليل خلو اعدادها من اسماء الادباء الاردنيين اللامعين . ونحن ننتظر منها ومن زميلاتها في عمان اتجاهاً ادبياً صحيحاً ، لنستطيع ان نرى في بلاد الامارة نهضة ادبية مباركة ، ثابتة الاسس ، نشيطة ، ليصل صداها الى خارج الاردن ، ولتستطيع ان تساهم في انعاش الادب العربي المعاصر ، وان تحتل مكاناً مرموقاً من قافلة هذا الادب الجديد ، السائرة بخطى ثابتة نحو الازدهار والانتشار .

وفي الواقع انه لمن السهل جداً انعاش الحركة الادبية الاردنية ، بسبب ما نلمسه في نفوس الكثيرين من الشبان الاردنيين من توثب ، واستعداد فطري للادب ، يعوزهما التوجيه والتصحيح ، لكي يصبح اولئك الشبان ادباء كباراً في مستقبل الايام .

والذي نعتقده ان « الندوة الادبية » و « نادي الملك حسين » في عمان ، سيكون لهما اثر محسوس في تغذية الحركة الادبية في بلاد الامارة العزيزة ، وفي توجيه ادباء الشباب نحو الانتاج الجريء المجدي ، وفي تنمية الذوق الادبي الصحيح .

ونحن حينما نذكر الادب الاردني ، نكاد نركز الحركة الادبية في عمان وحدها . وليس في هذا شيء من الغرابة ، فالمدن الكبيرة هي التي يكون فيها الرزق ميسوراً او موفوراً ، ولذلك يتهافت عليها الناس ، ولا سيما المثقفون ، للاستفادة من ثقافاتهم ، حيث المجال اوسع للاستفادة اما عن طريق دواوين الحكومة ، واما عن غيرها ، كالاعمال الحرة مثلا . وعلى هذا نستطيع ان نقول ان القاهرة هي مركز الحركة الادبية في مصر ، وكذلك بيروت في لبنان ، ودمشق في سوريا ، وبغداد في العراق . وعمان هي حاضرة الشرق العربي ، فلا غرو ان رأيناها محور الحركة الادبية الاردنية ، وان يكن في غيرها من المدن الاردنية بعض الادباء البارزين ، كأديب عباسي في الحصن ، وحسني فريز ، وخليل السالم ، وجريس القسوس في السلط . وهناك ادباء هجروا بلاد الامارة بسبب اعمالهم ومصالحهم الشخصية ، منذ مدة قريبة . فمنهم من يقيم في القدس ، كالعزيزي ، والبدوي الملثم ، ومحمد سليم رشدان . ومنهم من يقيم في دمشق ، كخليل جمعه الطوال . غير ان هذا التفرق لا يمنع ان يضاف انتاج اقلام هؤلاء الادباء الافاضل الى الادب الاردني ، سواء أكان يصدر عن فلسطين او غير فلسطين من الدنيا العربية العزيزة .

*

قلنا ان النهضة الادبية الاردنية حديثة العهد جداً ، واود ان اذكر الآن انها بدأت بعد وصول سمو الامير عبدالله الى شرقي الاردن ، وجلوسه على عرش امارتها ، فقد كان في ركاب سموه طائفة من الشعراء والادباء والاعلام ، امثال خير الدين الزركلي ، ومصطفى الغلاييني ، وعبد المحسن الكاظمي ، وفؤاد الخطيب وغيرهم . ثم جعل يتوافد اليها غير هؤلاء من الشعراء والادباء ، بعضهم للعمل في وظائف الحكومة ، وبعض آخر للتدريس في مدارس الامارة ، وغيرهم لتعاطي الاعمال الحرة . وممن خدموا العلم في المدارس : الشاعر الحوماني ، واديب التقي ، وتيسير ظبيان الكيلاني ، ومحمد الشريقي ، ومحمد اديب العامري . وممن تقلبوا على وظائف الدولة العالية : شكري باشا شعشاعه ، وممن تعاطوا المهن الحرة : الدكتور صبحي ابو غنيمة وغيره .

وهكذا لم يلبث ان نشأ عن احتكاك الاردنيين بهم توفز في الشعور ، فظهر بعض الادباء الاردنيين ، او الذين نهلت شاعريتهم من الطبيعة الاردنية ، من الوافدين على شرقي الاردن ، وقضوا حياتهم في شرقي الاردن ، حتى اصبحنا اليوم نجد عندنا منهم طائفة نعتز بها ، ونفاخر بروائع ادبها . وها نحن الآن نذكر اسماء اشهر الادباء والشعراء في بلاد الامارة .

اما الشعراء ، فهم : مصطفى وهبي التل ، وعبد المنعم الرفاعي ، ورفعت الصليبي ، وحسني فريز ، وحسني زيد الكيلاني ، ومصطفى زيد الكيلاني ، والدكتور توفيق الحناوي ، ومحمد الشريقي ، ومحمد سليم رشدان .

واما الادباء الناثرون ، فهم : اديب عباسي ، روكس العزيزي ، يعقوب العودات (البدوي الملثم) ، خليل السالم ، عبد الحليم العباس ، خليل جمعه الطوال ، شكري شعشاعه ، جريس القسوس ، وجورج مرار .

هؤلاء هم النخبة الممتازة من ادباء الاردن وشعرائه . وهناك آخرون كثيرون ، تتردد اسماؤهم في الصحف الاردنية كثيراً ، وبعضهم في صحف الخارج احياناً ، ولكننا لا نستطيع ان ندرج اسماءهم الى جانب من ذكرنا ، لانه لا يزال يعوزهم كثير من العناء ،

للحاق بالقافلة السريعة ولعلهم سيصلون في المستقبل القريب، الى حيث يتسنمون مراكز مرموقة في الادب العربي الحديث، وما على المجتهد في الحياة امر عسير.

وقد يتساءل البعض عما اذا كان قد ظهر لهذه الطائفة الجليلة من الادباء الاردنيين شيء من المؤلفات؟ وهو تساؤل في مكانه. ولذلك ابادر الى تفصيل الجواب عليه، فأقول:

اما الشعراء، فليس لاحد منهم ديوان مطبوع، سوى حسني فريز. وديوانه هو «هياكل الحب»، وقد ظهر عام ١٩٣٨. واما الباقون فلهم شعر كثير، في كثير من صحف العالم العربي، وعلى الاخص في الصحف الاردنية. وقد علمت ان «الندوة الادبية» في عمان، مهتمة بجمع قصائد الشاعر البوهيمي المبدع حسني زيد الكيلاني، تمهيداً لنشرها في ديوان.

واما الادباء الناثرون، فقد ظهر لبعضهم شيء من المؤلفات القيمة، نذكر منها: اسلام نابوليون»، و«القافلة المنسية»، للبدوي الملثم — وسيتبعها قريباً كتاب له عن «فوزي المعلوف»، يصدر عن دار المعارف في مصر —، وقصة عنوانها «ابناء الفساسنة وابرهيم باشا» للاستاذ العزيزي — وله ايضاً: المعجم البدوي، وجوف الصحراء، ووحي الصحراء، وقصص من البادية، وكلها ما تزال مخطوطة —، وكتاب «تأملات ماركوس اوريليوس» ترجمة الاستاذ جورج مرار — وله ايضاً رواية «الضحية الخالدة» مترجمة عن هنري بوردو، وقد نشرت تباعاً في مجلة «رقيب صهيون» في القدس، ولكنها لم تجمع بعد في كتاب، وهو الآن عاكف على ترجمة «العقد الاجتماعي» لجان جاك روسو، وكتاب «ابو نؤاس» لعبد الحليم العباس، وقد صدر في سلسلة «اقرأ» في العام الماضي. وقد اصدرت مطابع عمان في هذا الشهر كتاباً صغيراً بعنوان «ذكريات» لشكري شعشاعه، ولست اغالي اذا ما قلت انه من احسن ما اخرجته المطابع العربية في هذا العام، وهو في نقد عيوب المجتمع العربي، ومكتوب باسلوب بارع مشوق.

واما الباقون فلهم مقالات روائع كثيرة العدد، في مختلف الصحف الادبية والعلمية الراقية في مصر ولبنان وسوريا.

ولبعض الادباء الاردنيين ميزات ادبية خاصة. نذكر منها على سبيل المثال، ميزات الاساليب الكتابية عند البدوي الملثم، والعزيزي، وعبد الحليم العباس. فاسلوب «الملثم» يتميز بالاشراق والخفة، واسلوب العزيزي بالعنف والجرأة، واسلوب عبد الحليم العباس بالقفز القصير السريع! وكذلك يتميز خليل السالم بأنه يكتب المواضيع العلمية الجافة بأسلوب ادبي سهل. وهو في ذلك يحاول ان يسير على غرار العالم المعروف الاستاذ قدري طوقان — فيما اعتقد —. وقد وفق كثيراً في السنوات الاخيرة، ولا سيما في الابحاث التي ينشرها على صفحات مجلة «أصداء» السورية. وكذلك ايضاً يتميز شعر مصطفى وهبي التل بكثرة ذكره «للنَوَر» وللخمر، وبلامبالاته البينة، وباستخفافه بأوضاع المجتمع ومجاملاته السخيفة، وبكثرة استعماله للالفاظ العامية «كالخرابيش» و«السرسرية» وما اليها.

وعلى ذكر التقليد الذي نعتقده في اسلوب خليل السالم، لا بد لي من ان اذكر ان الادب الاردني عامة، يسير على غرار الادب المصري، والادب السوري، وهو يعترف من كليهما اغترافاً كثيراً. والادباء الاردنيون قد تكوّن ادبهم، اول ما تكوّن، على غرار الادب المصري، الذي كانت صحفه ومؤلفاته ومجلاته هي وحدها تقريباً التي تغمر الاسواق الادبية في الاقطار العربية عامة، الى وقت قريب جداً. ثم كان لهم من اتصالهم المباشر المستمر بالسوريين واللبنانيين، ما وجههم الى الاخذ بالآداب السورية واللبنانية. ولعل هذا الاتجاه الجديد قد صار في الاونة الاخيرة يعادل انصراف الادباء الاردنيين قبلا الى تقليد الآداب المصرية. وهكذا صرنا نجد عندهم اهتماماً، الى حد ما، باحياء الادب العربي القديم بالبحث والتأليف، على نحو ما يفعل ادباء مصر — في الغالب — كما صرنا نجد عندهم اشراقاً في الخيال الشعري، على نحو ما نراه عند الشعراء السوريين واللبنانيين.

وليس في هذا ما يعاب على ادباء الاردن، فان الآداب العربية الحديثة كلها، مدينة للادبين اللبناني والمصري بنهضتها المشرقة. وما نزال نرى طابع الادب المصري، مثلا، واضحاً كل الوضوح في الادب الفلسطيني. وعلى الرغم من هذا التقليد المنتج المحمود، لا يمكننا ان نزعم ان للادب الاردني مدارس خاصة، يتنافس الادباء في تعزيزها والدعوة اليها، على نحو ما نرى في الادبين اللبناني والمصري، لان الادب الاردني جزء من الادبين: اللبناني والمصري معاً. والمدارس الادبية في مصر — بنوع خاص — هي التي يتنافس ادباء الاردن في التشيع لها. وهذا لا يمنع ان نجد الطبيعة الاردنية بارزة القسمات في كثير مما تنتجه الاقلام الاردنية.

وهناك ناحية هامة يلاحظها كل من يحاول التدقيق في دراسة الادب الاردني، وهي فقدان «الادب السياسي» الذي يتصل ببلاد الامارة وحدها. فنحن نجد في كثير من الادب المصري،

والسوري ، واللبناني ، والفلسطيني ، والعراقي مثلا آثاراً ظاهرة الأحداث سياسية معينة ، اما في الادب الاردني ، فهذا النوع من الادب — والشعر خاصة — مفقود تماماً ، اللهم الا ان يكون لمصطفى وهبي شيء من هذا قليل . ولذلك قد نجد في الشعر « السياسي » و « القومي » — على الاصح — عند الاردنيين ، صدى لاحداث وطنية او سياسية او قومية في سائر الاقطار العربية ، مـا عدا شرقي الاردن ، فقد نجد حوادث فلسطين ، وسوريا ، ولبنـان ، والعراق مثلا ، بارزة كل البروز في شعر الاردنيين ، وفي الادب الاردني عامة ، اما شرقي الاردن فحظها من الشعر السياسي والوطني مفقود او في حكم المفقود . ولعل مرد ذلك الى الهدوء الذي تنعم به شرقي الاردن بالنسبة الى شقيقاتها . فهي لا تعرف الاحداث السياسية الهامة التي تنطق الالسنة بالشعر .

*

والان اود ان اعرض لبعض الادباء الاردنيين الذين ذكرتهم فيما تقدم ، لتتم الصورة التي قصدت الى تقديمها بهذه العجالة . ولئلا يطول السرد فيؤدي الى الاملال ، ساقتصر على الذين عرفتهم معرفة شخصية ، اتاحت لي تكوين رأيي في كل منهم . واول ما هو جدير بالذكر والملاحظة ، ان عدداً من هؤلاء الادباء غير قليل ، قد انشأوا انفسهم بأنفسهم ، فلا ذووهم ، ولا الحكومة ، ولا المصادفات المحضة كان لها نصيب في تغذية آدابهم ، وتكوين ملكاتهم الادبية . وأعرف من اصحـاب هذه الفئة : العزيزي ، والملثم ، وخليل الطوال ، ورشدان ، وجورج مرار . واصدق ما يمكننا نعتهم به : انهم عصاميون . ولولا عصاميتهم مـا زاد تحصيلهم المدرسي على الدراسة الابتدائية ، ولا كان لهم في الحياة الادبية الاردنية اي اثر ، بل على العكس ، لضاعت اخبارهم واسماؤهم فيما ضاع في الحياة من اخبار واسماء .

والعزيزي ، اليوم ، استاذ للغة العربية وادابها في كلية تراسانتا في القدس منذ ثلاث سنوات . ولعله من المعلمين القـلائل الذين احاطوا بمادة تخصصهم — اي باللغة العربية اوسع احاطة ممكنة ، ووفقوا الى الافادة منهـا في المدرسة احسن افادة ممكنة . وقلمه عنيف جبار ، لا يماري ، ولا يخشى اللوم في الدفاع عن حقيقة ادبية ، او غير ادبية ، يعتقدهـا . ولكنه انصرف في الآونة الاخيرة انصرافاً يكاد يكون تاماً عن الانتاج الادبي ، ولعل له في ذلك « رأيه » الخاص ، ولا اقول « عذره » .

و « البدوي الملثم » اديب دؤوب . له من مؤلفاته ومقالاته العديدة في مختلف الصحف الفلسطينية والسورية والاردنية ، ومن بيانه المشرق السلس ، خير ما يقدمه ، ويشق له الطريق الى حياة ادبية موفقة لامعة . وهو اليوم احد موظفي السكرتيرية العامة في القدس .

وخليل جمعه الطوال ، شاب ثائر ، مندفع في ثورته ، لا يطيق البقاء على حالة واحدة . له اطلاع غير يسير على الآداب الانكليزية ، وقد كتب عنها عدة فصول . وقلمه بارع ، واسلوبه خفيف على الرغم من ثورته . درس في المدارس الطـائفية ، ثم في المدارس الحكومية ، فثار على المدارس الطائفية ، ثم على المدارس الحكومية واخيراً التحق بالجامعة السورية يدرس الطب فيها ، وما يزال هناك حتى الان .

وهناك الاستاذ اديب عباسي — مدير مدرسة الاتحـاد الكاثوليكي في الحصن — ، وهو أديب يمتاز بسعة ثقافته ، وتعدد نواحي نشاطه الادبي والعلمي . ولكن هناك شيئاً يطغى عـلى نفسه ، فيحرم الناس من انتاجه الادبي المتواصل فهو شـاب متشائم ، يهرب من الناس ، وينطوي على نفسه . وقد قيد نفسه بمبادىء ، لا يخرج عليها ولو نالت منه الحياة كل منال . ولو خرج الى دنيا الناس ، لما كان دون اعظم ادباء مصر ولبنـان ، مكانة وانتاجاً في الشعر وفي النثر ، وليته يفعل ! وهو على كل حـال غير مجهول المكانة ، بما له من مقالات في امهات الصحف المصرية .

*

وبعد فليس يكفي ان اقول ان عندنا ادباً ، وان عندنا ادباء ، وان اعدد اسماء اولئك الادباء ، وعناوين مؤلفاتهم ، وأن اذكر رأيي فيهم ، بل لا بد ، لاعطاء صورة عنهم صحيحة واضحة ، من ان اقدم شيئاً من انتاجهم الادبي ، الذي يستطيع وحده ان يقيم الدليل الملموس على ما في الادب الاردني من جودة وجمال . ولمـا كان ليس من الهين ان نقتطف كلاماً ، منثوراً في عجالة كهذه ، لذلك ارى ان اقدم شيئاً من قصائد شعراء الاردن ، ليطلع عليها ابناء الاقطار العربية الشقيقة الذين يجهلون ، او يكادون يجهلون ، ان في شرقي الاردن ادباء وشعراء مجيدين .

واول من اذكر من شعراء الاردن ، الشاعر مصطفى وهبي التل ، فهو شاعر مطبوع ، رقيق الشعر ، ولو انه لا يتعفف احياناً عن ذكر بعض الالفاظ او الابيات النابية في شعره . وهو متمرد على كافة اوضاع الحياة والمجتمع ، ومستخف بها كثيراً . يعيش عيشة بوهيمية ، فيها انطلاق ، وفيها سعي وراء اللذات ، بين اصدقائه

« النوَر » الذين لا ينفك يذكرهم في شعره ، وبين كؤوس الخمر ، يحسوها بلا حساب ، وبلا مبالاة ، واذكر من شعره الابيات المتفرقة التالية ، وقد نشرت جميعها في احد اعداد « الجزيرة » عام ١٩٤٠ :

يا شيخ ! ما الاثم ؟ حسب المرء معرفة
ان الشفاه « بوادي السلط » لمياء
وان « وادي الشتا » حو جآذره
وان سمراء « وادي السير » رعناء

و « وادي الشتا » مكان في مدينة السلط ، يقيم فيه « الفجر » مضاربهم كلما جاؤوا الى السلط للارتزاق . وكثيراً ما يرد ذكر هذا المكان في شعر التل .

ومن « نورياته » قوله :

بين « الخرابيش » لا عمري يضيع سدى   ولا يضيق الهدى ذرعاً بأطواري
ولا يرى « الهبر » بأساً في منادمتي   وشرب كأس من الكنياك « قعواري »
كأن عمان لم تعرف اخا طرب   غيري يحج الى حانوت خمّار
يا شيخ ، حسبك ، ادنى الاثم منزلة   من رحمة الله ما تدعوه اوزاري

و « الخرابيش » هي بيوت الشعر الصغيرة ، ويشير بها الى بيوت « النوَر » ، و « الهبر » هو شيخ النور .

ومن غزله قوله :

ادني شفاهك من فمي ، وتوسدي   صدري ، يكف الدهر عن عدوانه
ما لي ودنياهم ؟ فحبك عالم   مر الهوى وقف على سكانه

ومن خمرياته :

هات اسقني « قعوار » ليس يهمني   قول الوشاة : « عرار سكرانان »!

و « عرار » هو التوقيع المستعار الذي يوقع به الشاعر قصائده :

فالكأس لولا اليأس ما هشت له   شفة ، ولا حدبت عليه يدان
والخمر لولا الشعر ما أنست به   لغة الاديب ، وريشة الفنان .

وكذلك قوله ايضاً :

كم فارس هو في الحقيـ   ـقة تحت راتبه مطية
ومدجج قاد السرية   وهو قواد السرية
فأدر كؤوسك يا أبا   ناصيف مترعة روية
واشرب على غطي كما   تأتم بالشيخ المعية
ترك التقي خير بعين الله   ـه من نسك التقية

وفيها يقول :

لما رأيت الالمعية   في اطراح الالمعية
ووجدت ان العبقرية   في اطراح العبقرية
اطلقت عقلي من عقال   الهاجسين بحسن نية
وسبرت اغوار السراة   وقستهم بالسرسرية
فوجدت رهط الهبر قد   بذوا الاماثل اريحية
ووجدت ان العي في   بعض المواقف شاعريه

والذي لا شك فيه ان هذا الشاعر ، اكثر ما يجيد ، اذا قال ، شعره في الخمر او في النوَر ، او اذا نقم فارسل نقمته شعراً .

*

ورفعت الصليبي المحامي شاعر مقل ، ولكن له قصائد رائعة ، اذكر منها الان « حصاد الاثم » ولعلها من اروع منظوماته ، ان لم تكن اروعها على الاطلاق :

« هند » عذراء اوقعتها المقادير   (م) بذئب يروغ خبثاً ومكرا
وذئاب الآنام أضرى من الذئـ   ـب وامضى في الفتك ناباً وظفرا
شاقه حسنها ، فهام بقد   كقضيب الاراك ، ريان نضرا
ومضى ينصب الاحابيل للطهر   (م) ويبدي الهوى ويكتم شرا
مد اشراكه وحام عليها   يرقب الصيد جاهداً مستمرا
ورأته العذراء يرمقها حبـ   ـاً ، فراحت بنظرة منه سكرى
راعها منه مقلة تنفث السـ   ـحر ، ووجه يضيء حسناً وبشرا
غرها ذلك السراب ، فضلت   في صحارى فجوره ، فهي حيرى
ورأت في هواه امنية القلـ   ـب ، وراحت تبثه الحب سرا
سعدت لحظة بوصل شقي   اورثتها نار المذلة دهرا
هتكت سترها الرذيلة والغـ   ـدر ، وكم كاعب تضال غدرا
فجعتها اترابها من عذارى الحـ   ـي اذ قارفت من الامر نكرا
فذوى غصنها الرطيب ، وكانت   كقضيب الريحان حسنا ونشرا
دنستها الغداة كف زنيم   تنحر الحسن والفضيلة نحرا
سلبتها العفاف والامل الحلو   (م) فلم تستطع على العار صبرا
كيف تقضي ؟ بالسم ؟ بالنار ؟ بالنهر ؟ . . . واي الاسباب ما كان مرا ؟!
سنفتها لاثمها السن النا   س ؛ ومن في الانام يقبل عذرا ؟
ان من تحمل الجريمة سراً   تلد العار والفضيحة جهرا
ودرى الاهل بالفضيحة ، فاهتاج   (م) اخوها وراح يزأر زأرا
وانتضى خنجراً يضيء دجى الليـ   ـل سناه ، ويملأ القلب ذعرا
ومشى ثابت الجنان ليجزي الاخـ   ـت في الخدر طعنة منه بكرا
فأهابت به – وقد خيم اليأ   س ، وأخنى على الشقية صدرا – :
« أي اخي ، لا ترع ومزق جناني !   انا بالقتل والمنية احرى
أنا دنست بالجريمة عرضي   انا لم ابق للفضيلة سترا »
رجفت كفه ، وقد نصل الخنجر   (م) منها ، وراح يلهث بهرا
وأفاق الحنان في قلبه القا   سي وفاضت مدامع منه شكرا
وتولته نوبة من جنون   جعلته يهذي كمن عل خمرا
فمضى هارباً يقهقه في الاسـ   ـواق مستهتراً ، ولم يدر امرا
ومضت اخته الشقية للدير   (م) تجر الخطى من الذل جرا
ودعت عالماً تحول فيه السـ   ـعد بؤساً ، والخير بدل شرا
تنشد الامن والسلام ، وتبغي   لحطام الآمال في الدير قبرا

*

واما حسني فريز فان له ديواناً مطبوعاً هو « هياكل الحب » ، وهو خير ما يبين شاعرية صاحبه . ولكنني اود ان اذكر ههنا ان اكثر ما ينظمه الاستاذ فريز – مدير كلية السلط الثانوية الان –

هو في الغزل ، ولكنه في الواقع لا يوفق في اكثر غزلياته كما وفق في قصيدتيه الرائعتين « السنديانة العجوز » وآثار جرش » ، فليرجع اليهما من شاء ، وليرجع كذلك الى القصيدتين الغزليتين اللتين صدر بهما « هياكل الحب » وهما : « عينان » و « شفتان » فهما من اجمل الشعر الغزلي الرقيق .

*

ولا بد لي ، لكي ازيد الصورة التي اريد تقديمها وضوحاً واشراقاً ، من تقديم شيء آخر لشاعرين آخرين ، ضربا في الشعر بسهم وافر ، او على الاصح بعاطفة مشرقة ، عاطفة صادقة رقيقة . وعلى الرغم من ان اكثر ما ينظمه حسني زيد الكيلاني، ومصطفى زيد الكيلاني ، من الشعر الغزلي الرقيق ، غير انني اود ان اقدم لهما مقطوعات في مواضيع مختلفة ، لان هذا التنوع من شأنه ان يؤكد لنا ان الشاعرية عند هذين الشابين اصلية ، وليست شاعرية صناعة وتكلف . واليكم من شعر حسني زيد الكيلاني الابيات التالية من قصيدة نشرت في « الجزيرة » عام ١٩٤٠ :

الفن ، كل الفن ، في نظرته ... والتيه ، كل التيه في مشيته
وبابلي اللحظ من غنجه ... آمنت بالسحر وفي قدرته
لو أنني بالوهم صورته ... لاثر الوهم على رقته
تكاد تجري الشمس في خده ... لولا حياء الشمس من طلعته
تذوب روح الصب في قربه ... من فرط ما تخشاه من فرقته
فدى لعينيه ومعنى الهوى ... موت ذوي الاشواق في حرقته

وهذه قطعة اخرى صغيرة عنوانها « الفلاح » وقد نشرت ايضاً في « الجزيرة » ، وهي من ألطف ما صور به الفلاح من شعر ، بعد قصيدة الشاعر احمد الصافي النجفي التي صدر بها « امواجه » :

نبهك الشحرور في وكره ... يا أنبل الناس على فقره !
تقلب الارض ولا تأتلي ... كراهب يبحث في سفره
تمشي على كثر الدنى متعباً ... وانت محسود على تبره
ان لم تهش الناس في وجهه ... هش له العشب بمخضره
الا تراه حول اقدامه ... في عفة الحسن وفي طهره
تفضي له الدنيا بأسرارها ... ولم تزل صماء عن سره
يبني قصور الناس من كوخه ... ولا ينال البعض من شكره
مهداً والناس في نشوة ... من ناعم الحلم ومفتره
فلاحنا اثمن كنز لنا ... فكل ما نجنيه ، من خيره

*

اما مصطفى زيد الكيلاني فله شعر غزلي كثير ، واغلبه ينم عن عاطفة مشبوبة فياضة . واليكم من شعره هذه القصيدة الرائعة : « فتاة تحتضر » ، فهي عصارة روح محلقة في اجواء سامية من الخيال الفنان ، والفاظها المجنحة بالحزن تشف عن ارق العواطف ، واصدق صور الوجد اللاذع :

اثارت عواطفي الحافيه ، ... وأذكت حناني وآلاميه
فتاة على فرش الاحتضار ... تجود بأنفاسها الغالية
فتاة بها من ذبول الخريف ... بقية آماله الباكية
على شفتيها ارتجاف حزين ... يصور اوجاعها الدامية
وفي مقلتيها لمحت الشباب ... يودع اجفانها الساجية

*

حنانك رباه ! ان المصاب ... أليم ، يمزق احشائيه
نعوها الي قبيل الصباح ... وهل لي بفقدانها آسية ؟
وكانت احب الاماني العذاب ... الي ، وسلوة ايامية
فيا غادتي ! لا رعاني الغرام ... ولا عاودتني المنى الضاحية
ولا لفني الليل في برده ... اذا ما دفنت صباباتيه
أحقاً ستغفين تحت التراب ... وكنت على مهجتي غافية ؟!
بربك اين صباك الغرير ... ألم تبق من عهده باقية ؟
وثغرك هذا الظمي الجميل ... ايذبل كالزهرة الذاوية ؟
سأعبد يا غادتي الذكريات ... واطوي عليهن احشائيه
واكتم لذاتي الصاديات ... وأعتزل الناس في زاوية
وانظم من ادمعي آية ... تطل على روحك الظامية
وتوقظها من وراء الغيوب ... فتسري مع البلجة السارية
فتغمر روحي بنفح السلام ... وقلبي بالقبل الدافية

*

وبعد فهذا هو الادب الاردني ، واولئك هم ادباء الاردن ، في اقصر توضيح ، على قدر ما تتسع له المامة كهذه عابرة ، القصد منها التعريف القريب ، لا التحليل الشامل الواسع . وعسى ان اكون قد وفقت ، فبلغت ما اردت من هذا التعريف العابر ، وهو اطلاع ادباء الاقطار العربية ومثقفيها على طرف من نتاج اخوانهم ادباء الاردن الذي يجهلونه ويجهلون اصحابه . وعسى ان اكون قد وفقت الى ان اغرس في نفوس ادباء هذه الاقطار الشقيقة شوقاً الى الاستزادة من هذه المناهل الثرة ، واهتماماً بالتعرف الصحيح الى منابع هذا الادب الرفيع ، الذي لم يجد بعد طريقه اليهم كما يستحق .

*

وقبل ان اختم هذه الكلمة ، لا بد لي من ان اذكر ان قد استأنست في اعداد هذا البحث الطويل بكثير من اعداد جريدة « الجزيرة » . كما اذكر بالشكر الجزيل ان الصديقين الفاضلين الاستاذ « الملثم » والاستاذ العزيزي ، قد ارشداني الى بعض النقاط التي كنت غير واثق منها تماماً .

القدس - كلية تراسانطا ... عيسى ابرهيم الناعوري

قالت

*

الى الآنسة « نون »
التي قالت لي وقلت لها ! . .

*

محمد يوسف حمود

قالت : سألتك يا حبيبي بالله والوطـن الحبيب
ان يملأ الافـاق شعرك ، بالورود وبالطيوب
ويثور امـا ثارت الاحرار ، للوطن الغضوب
مـالي اراك سكت ، والشعراء لليوم العصيب
في شعرهم ، صوت الحيـاة ، وصرخة الحق السليب
خل المنى العذراء ، والالوان ، للجو اللعوب
والشدو واللهو المرنـح ، للزمـان المستطيب
لا تمحي الآلام عن وجه العروبـة بالنسيب
كلا ، ولا تشفى جراح الشرق ، بالشعر الطروب
فدع التدلـه ، والتغني بالهيـام ، وبالوجيب
وادع الشبـاب ، الى الجهـاد الرحب ، والمجد الرحيب
وادع العروبة ، لامتشـاق الحق ، في وجه الغريب
واهتف ، فللاجيـال ، مـا دوت هتافـات الاديب
بالله ، والوطن الحبيب ، وبالعروبة ، يا حبيبي ! . .

*

قلت : اسمعي ، ناء الزمـان ، بمـا تحمل من خطوب
وتجهمت في الامـاني ، قبل عهدي بالمشيب
واكاد اكفر بالحيـاة ، وبالسلام ، وبالحروب
وانا الذى ، آمنت بالاشراق ، في شمس الغروب
وهويت امتي الحبيبة ، قبل حبي للحبيب
ووعيت مـا في خـاطر التـاريخ ، في العمر الرطيب
وعلمت ان ضمـائر الاقوام ، مـلأى بالعيوب
لا فرق عند النـاس ، مـا بين الضمائر والجيوب
فتمردت نفسي عـلى نفسي ، وعـادت تتقي بي
امـا وفي عينيك ، للامجـاد ، السنة اللهيب
وعـلى لسـانك هبة ، تدعو الرياح الى الهبوب
سأعود ، انشد باسم يعرب ، لحـن ماضينـا الخصيب
ادعو بلادي ، للطليعة ، في المضي مع الشعوب
حتى نعود ، الى امتشـاق الحق ، والسيف الخضيب
باسم الضيـاء من الهلال ، وباسم رائحة الصليب ! . . .

مع ادباء السوء!

بقلم محمد روحي فيصل

●

« ان السلوك الشاذ ، والصراع مع الحياة القاسية ، وسكنى السجون والمستشفيات، والعربدة المتصلة ومخالطة الادنياء ، وحتى الاجرام نفسه - كل ذلك مما يلتئم والانتاج الشعري الرفيع »

بول فاليري

في « كونفراسيا » عام ١٩٣٧

اولعت في بعض الازمان بلون من الادباء تتفاوت الصحائف التي رسموا خطوطها في ماضيات التاريخ الادبي بالسمات والاصول ولكنها تلتقي عند سمة واحدة ، وتصدر عن اصل واحد ، على اختلاف مع ذلك فيما بينها قوة وضعفاً او طولا وعرضاً ، هي سمة السوء وأصل الشذوذ ! ولقد أولعت بطائفة السوء هذه الشاذة ولعاً شديداً غريباً ، ولا أقول اني احببت أشخاصها او علق قلبي بنمط حيواتها واتجاه طبائعها ، ولكني اقول جمعت أخبارها ، وضممت أطرافها ، وسوّيت لنفسي صورها ، ثم رزت اسباب عللها ، وقدرت مواضع نقصها ، فطفت على الجملة بأجواء النفوس التي عاشتها في حدودها هي ، وحدود المجتمع الذي اضطربت فيه وخرجت عليه طائعة او كارهة .

واصرح هنا اني ظفرت من هذا الطواف الممتع كله بهذا السؤال القيم : ايكون الاديب رجلا اجتماعياً ؟

والرجل الاجتماعي الذي اعنيه ليس صاحب « الاتيكيتات » والمجاملات والتحيات الطيبات ، وانما هو الرجل الذي يلائم بين عواطفه وآرائه وغرائزه واعماله وبين القوانين المكتوبة وغير المكتوبة التي تضبط شؤون الهيئة الآدمية التي يحيا بين ظهرانيها ، فالعرف شيء له حرمته في نفسه ، والاخلاق العامة يمارسها عن رضى وقناعة ، والعادات الموروثة يستجيب لها افق مضطربه ، والاوضاع الرسمية يخضع لها ولا يتمرد عليها ، والدين السائد مستحوذ بطقوسه وعقائده على قلبه وعقله . وعلى الجملة فالانسجام قائم على أتمه واوفاه بينه وبين مجتمعه ، فانصهر في البوتقة الاجتماعية العامة انصهاراً تتماسك فيه فرديته او شخصيته بعض التماسك ولا تبرز مع ذلك بروزاً واضحاً محسوساً الا بقدر ما تكون هذه الفردية والشخصية قويتين ناميتين ، وحقل عملها واسعاً مستفيضاً .

ولا اكتمك اني انظر وسأنظر دائماً الى هذا الرجل الاجتماعي بعين ندّيانة ضاحكة مغتبطة ، وأكاد احسده على عيشه لولا اني لااستطيع ابداً ان البس اهابه او استعير زيه ، فأنا راض عن نفسي قانع بعيوبي وبجميع ما براني الله عليه من الخلائق والنقائص . ولكن الرجل الاجتماعي هو السعيد حقاً ، الراضي المطمئن في الناس . وصحيح انه يحيا حياة هادئة مغمورة ولكنها الحياة الهادئة الصافية التي خلصت من جميع ما يكدر العيش من الاخلاط والشوائب . وهو رقم كما يقول الفرنسيون ، ولكنه الرقم المستدير الذي يقبل القسمة بلا كسور في مختلف العمليات الاجتماعية !

ان يكن الرجل الاجتماعي على ما وصفت من الاتصال بمجتمعه، فهل يكون الاديب رجلا اجتماعياً ؟

يقولون ان الاديب كائن ممتاز ، ويعنون بالامتياز ملكات وقوى تفرد بها او سما بها على اوساط الناس . وانما يكون التفرد والسمو حين تنضج هذه الملكات والقوى، ويعظم امرها ، وتؤتي اكلها ، وتصبح من التضخم والنمو بحيث لا يستطيع الاديب نفسه ان يصرفها عن وجهها الى غير سبيل او يتحاشى الانتاج الذي ينبثق منها كما ينبثق الماء من عيون الارض اذا جاشت وامتلأت . والى ان تصير هكذا من عظم الشأن، فهي بذور تضطرب بامكانيات الحياة المكنونة والانتاج المستتر ، شأنها في ذلك شأن بذور

النبات حين تلقى في الحقول الندية اول الشتاء . فهي ملكات بالقوة كما يعبر الفلاسفة ، او هي ميول نفسية خلقها الله واودعتها الفطرة في نفوس الناس كافة ، وانما يتعهد بعضهم هذه الميول بالعناية والانتباه والصقل ، ويجري بها في سياق معين ، فتستطيل جذورها وتقوى فروعها ، فيقال انه صاحب ملكة ، وملكة موهوبة ، وما هي بموهوبة من السماء كتسقط الوحي ، ولكنها مكتسبة بالمران وعلى الزمان . وتجيء روافد اصطناعية من تجربة وفطنة ومطالعة تمد الميل الذي صار الى ملكة فتشد من ازره وتعين على نموه فاذا صاحبه يتفرد به او يسمو به ان شئت على اوساط الناس .

واولى ملكات الاديب ، الكاتب الممتاز ، قوة بيانية قادرة على التاس ما دق او جل من المعاني التي تضطرب في داخل النفس او تصطفق على صفحة الحياة ، ثم عرضها بالالفاظ عرضاً يجب ان يتوفر فيه الكثير من الجمال واللذة والموسيقى . وهذه الملكة قدر يتفق عليه الناس ويمنحونه الاديب بلا خلاف ، فاولى الصور القائمة في اذهانهم على الشيوع هي ان الاديب انسان يستطيع ان يعبر عما في نفسه وعقله بكلام جميل لا يستطيعون هم ان يحققوه او يتطاولوا اليه . ويقفون لسذاجتهم عند هذا الحد البسيط من امتيازات الاديب على غيره من الكائنات الحية . ومن الغريب حقاً ان يكون بعض نقاد الادب على هذا الرأي الابتدائي ، فهم يذهبون على قناعة واستقراء وتمثيل الى ان الملكة البيانية هي كل ما يمتاز به الاديب من جمهرة الناس ، كأنما هي رأسماله الوحيد الذي يتكسب به ولا ينازعه فيه منازع . ولا اقول الان في هذا الرأي شيئاً ، فلذلك مكانه في غير هذا الحديث .

وكيف دار الامر ، فثمة ملكة اخرى في الكاتب الممتاز ، هي استبطان الحساسية لقد تتفاوت بين اديب واديب شدة وضعفاً ، وتختلف صفاء وتبلداً ، ولكنها في اي الاحوال قوة يفطن بها الاديب الى مواضع دقيقة في هتافات القلب وخواطر العقل وافاعيل الغريزة لا يفطن اليها الاخرون او يفطنون اليها جملة لا تفاريق ثم ينفذ على ضوئها وصباغها – اعني الحساسية – الى مجالات الوجود ومعاني الحياة بما لا ينفذ اليها او يعنى بها انسان قط ، لا سيما ما كان يتصل منها بالوجهات الجمالية او الفنية .

والاحساس المرهف اصل من اصول الادب وحياة الاديب . لا يختلف في ذلك اثنان . اما عرض هذا الاحساس فله طرائق جمة مما يعرفه كل مطلع على المدارس الادبية في مطاوي التاريخ . فالرومانتيكيون يعرضونه للعاطفة الواضحة في البيان الواضح ، وجماعة « الفن للفن » يعرضون لها موضوعياً من طريق اللفظ المنسق المنغوم ، والرمزيون ينفضونها نفض ايحاء مهموس . وهكذا يختلف الادباء في الطريق الى الاحساس ولكنهم يتفقون عليه في الاساس . فلا ادب بلا حساسية مهما يكن عرض هذه الحساسية من جانب اصحاب المدارس الادبية ، كما انه لا حساسية شديدة بلا تصوير مهما تكن ادوات هذا التصوير من لفظ او لحن او لون او حجر .

والحساسية اذا اشتدت في نفس الاديب اشتد معها الشعور بشخصيته والالتفات الى طبيعته والايمان بامتيازه ، وداخلته من جراء ذلك كبرياء خاصة لا يعرفها الكثيرون الا ان يكونوا فارغي الرؤوس او حمقى جاهلين . وهي ضرب من كبرياء العبقرية التي تدرك قيمتها واصالتها وقدرتها على الابداع . فما خلا اديب قط من زهو يكتمه تارة ويعلنه اخرى . ولا عبرة بالمتواضعين من الادباء ، فانما تواضعهم هذا اسلوب مصطنع دخيل يتخذونه للعيش او المسالمة او للتقية في اخص ما لهذه الكلمة من المعاني . وآية ذلك انك لو وخزت هؤلاء « المتواضعين » او نقدت ادبهم نقد شديد مقتدر فلا تلبث ان تراهم ثائرين عليك ، هازئين بك ، متلطفين الك مع ذلك تلطف الصائد لفريسته ينصب لها الوان الشباك للوقيعة والانتقام . والعداوة بين المنتج والناقد شيء قديم ، وستبقى قائمة بينهما زمناً طويلاً .

اذا تقررت لك كبرياء الاديب وشعوره بشخصيته وفرط حساسيته ، استطعت ان تفسر طرائف شتى مما يرويه تاريخ الادب عن كثير من الادباء ، كالذي حكوا من ان ابا الطيب المتنبي كان يوماً في طريقه الى العراق فعرض له فاتك فتقاتلا حتى احس بالضعف فعمد الى الفرار فقال له غلامه « لا يتحدث النـاس عنك بالفرار وانت القائل :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقال قتلتني ، قتلك الله » .

وكالذي حكوا من ان مؤلف « في ظلال الزيزفون » بعث بهدية الى زميله الكاتب الفرنسي جان جاك روسو فاستشاط غضباً وارغى وازبد لان الهدية عند صاحب « الاحلام » تعني التحقير !

وكالذي جاء عن الاديب الشاعر شاتوبريان انه ارخ مولده بهذه العبارة « لقد ولد نابليون بونابرت في نفس العام الذي ولدت انا فيه » يعني عام ١٧٦٨ ، وكان اخلق بشاتوبريان ان يقول لو كان

على شيء من التواضع « لقد ولدت انا في نفس العام الذي ولد فيه نابليون بونابرت » ولكنها الكبرياء كما يلاحظ الناقد الكبير اميل فاجيه ، كبرياء الاديب ، هي التي أملت العبارة الصلفة على شاتوبريان .

هذا المزاج الادبي القائم على الاحساس المرهف ، والثقة بالنفس ، والقدرة على الابداع ، والانسحاب وراء الفردية ، والدوران حول الذات ، والتعالي على الناس — ما عسى ان يكون موقف صاحبه من المجتمع الذي يعيش فيه ؟

من المعقول جداً ان لا يكون الاديب في اغلب الاحوال رجلا اجتماعياً الا فيما لاءم مزاجه ورضي عنه . وكيف تريده ان يكون اجتماعياً وعالمه الذي بين جنبيه يختلف بطائفة من مقوماته وخصائصه عن العالم الذي يحيط به من قريب ؟ كيف تريده ان يلين لمواضعات ليس له فيها يد ولا هي تصور طبيعته او تستجيب لحاجته ؟ ان علماء الاجتماع يزعمون ان الاديب « محصلة » القوى الاجتماعية ، وخلاصة الظروف الزمنية والمكانية . وربما كانت هذه النظرة صحيحة بالنسبة للانسان اي انسان ، لانه عنصر متأثر منفعل كما يقولون ، ولكنها مغلوطة الى حد بعيد ومبالغ فيها بالنسبة للاديب الكائن الممتاز ، لانه ككل فنان عنصر مؤثر فاعل ، والعملية الفنية عملية خلق وابداع قبل كل شيء ، وفردية الاديب لتمكنها منه آخذ باون الانتاج من اجتماعيته ، والمعول على الذوق الخاص في كل حال واذا كان بين الفن والمجتمع تفاعل يقوم على قانون الاخذ والعطاء او العرض والطلب ، فكل شيء اذن يدل على ان بين الاديب ومجتمعه صراعاً مستمراً عنيفاً ان لم يكن في العلانية ففي السر . والحرب سجال اذا كانت جهاراً ، والنصر معقود اللواء للفريقين على السواء . فكم من الادباء الذين اشعلوها ناراً متأججة احرقتهم نارهم فكانوا لها حطبا ولكنهم لم يموتوا عبثاً فآراؤهم التي اذاعوها تلقفتها العقول فانجذبت اليها واخذت بها بعض الشيء ، وتأتي الاجيال من بعد ذلك فينهض كل جيل بما كسب وتأثر ، فاذا خطرات الادباء عقائد الاجيال وحقائق الجماهير . وكذلك ينتصر الاديب على مجتمعه رويداً رويداً فيفسد نظمه ، ويقلب اخلاقه ، ويخلق فيه روحاً جديدة تقوم مقام الروح القديمة .

ان قصة الصراع هذه القائمة بين الاديب ومجتمعه لقصة مفرحة مشجية في آن واحد ، تختلف عليها فصول يعلو فيها شأن المجتمع ، وفصول يظفر فيها هتاف الاديب . ولا يمكن ان يصور الاديب بيئته تصويراً فوتوغرافياً ، وانما يصورها تصويراً فنياً كما يقولون ، لان مزاجه الحساس وشخصيته القوية لا بد ان يعملا عملها في اخراج الصورة على نحو ما يريد .

فما قام انسجام قط بين فنان ومحيطه الا ان يشرك احدهما الاخر في اتجاهه ونزعته والا ان يصانع اولهما في امور كثيرة ، لان الفنان ان رضي عن شيء فهو لن يرضى عن اشياء . فربما فسدت الاخلاق في عينه ، او استبدت القوانين ، او رثت العادات ، او انحرفت المذاهب . وهو انما يجب ان يقومها كلها وفق هواه او يثور عليها للهدم او للبناء ، وقد يقوى على هذا او لا يقوى ولكنه يجاهد على كل حال جهاداً خالصاً .

وتستطيع ان تتصور لنفسك لون الحياة النفسية التي يحياها الاديب من جراء صراعه العنيف مع مجتمعه ، فهو دائم القلق سريع الشعور مضطرب الحس لا يتذوق هذه الطمأنينة الوادعة التي يعرفها الرجل الاجتماعي في انسجامه الموفق السعيد مع المجتمع .

فههنا كل الجواب على ذلك السؤال الذي القيته في مستهل الكلام : هل يكون الاديب رجلاً اجتماعياً ؟

ولكني انبأتك اني اولعت في بعض الازمان بطائفة من الادباء تتصل حياتها بالسوء وتقوم على الشذوذ ثم عقدت لها هذا الحديث . فالمهم ان تعلم الآن ان هذه الطائفة السيئة الشاذة ليست الا امتداداً واستطالة للاديب الذي حدثتك عن احساسه وفرديته وزهوه وعن نوع صلته بوسطه ، وانما فضلته او تخلفت عنه بهذا الطبع النافر المستوحش الكئيب او بهذا الطبع السيء المؤذي الضار . فأنت من ادباء السوء مع الادباء عامة في صباغ مزاجهم واتجاه طبيعتهم ولكنك معهم الى ذلك على الخصوص في فكرة الشذوذ وروح الشر ايضاً . فادباء السوء قوم يهجون ويقتلون ويسرقون كأنما عملهم المنكر الذي دفعهم اليه انحراف الطبع ضرب من الحرب اشهروها على مجتمعهم لينقموا منه او يزعجوه او يؤذوه في عادته وامنه وماله .

وادباء السوء لا يقدرون نتائج الصراع الذي دخلوه مرغمين مضطرين ، وهم لا يحسبون انفسهم اعضاء في هيئة كبرى متماسكة بحيث تقف حرياتهم عند حدود حريات الآخرين ، وهم يجهلون حتى علل نقائصهم فلا يمتد بهم الخيال الى اكثر من تحقيق نزواتهم ولو كانوا من الهالكين . والواقع ان حياة اكثرهم تنتهي بلون من الموت الشنيع لا يحسدون عليه فهم بين مصلوب او مشنوق او مقتول ، وبعضهم لا يذكر التاريخ كيف رحلوا عن هذه الدار ، ويغلب على

الظن انهم كانوا طعاماً للوحوش والديدان .

وعيش ادباء السوء عيش الهارب من العدالة ، الكاره للقانون، الراغب عن الناس . وربما جد السلطـان في طلبهم فيتوارون في اطراف البلاد او رؤوس الجبال . وهم قلقون خائفون ، ولكنهم مع ذلك راضون بهذا التشرد سعداء عند انفسهم ، يتغنى واحدهم بشقائه وبالحادثات التي جرت له غناء من اتخذ الالم موضوعاً وسبيلاً الى الحياة . وربما ذكر شبابه وايامه فحن اليهـا ورق لها فاذا هو ينظم شعراً لا يدري المرء كيف وفق الى تجويده وجماله مع ما هو عليه من البؤس والاسى والاضطراب .

من اجل ذلك كان ادباء السوء جميعاً ادباء الغناء والعـاطفة والوجدان ، اعني انهم « رومـانتيكيون » في التعبير المدرسي الحديث .

وادباء السوء في التاريخ كثيرون ، لا اتورط معك فاذكر منهم الاحياء ، ولا اثقل عليك فأبعث كل الاموات ، انما اعرض لاربعة واعفو الآن عن الباقين ، فحسبي التمثيل لا الاستقصاء .

نحن الآن في كتاب الاغاني ، وما اكثر ادباء السوء في هذا الكتاب ، ولكني اقف اول ما اقف عند « تأبط شراً » الشاعر الجاهلي العداء الظريف الذي زعم انه لقي الغول فتحدث اليهـا وناجزها وصاولها ثم « اتكأ عليها » ونظر :

اذا عينان في رأس قبيح	كرأس الهر مشقوق اللسان

والقصة طريفة يرويها الشاعر في كلام سهل بسيط واضح ليس عليه اثر من بداوة او اثر من تكلف .

فالرواة يذهبون الى انه كان رأى كبشاً في الصحراء فاحتمله تحت ابطه فجعل يبول عليه طول طريقه فلما قرب من الحي ثقل عليه الكبش فلم يقله فرمى به فاذا هو الغول فقال له قومه مـا تأبطت يا ثابت قال الغول ، قالوا لقد تأبطت شراً ! وقيل بل قالت له امه : كل اخوتك يأتيني بشيء فقال لها سآتيك الليلة بشيء ، ومضى فصاد افاعي كثيرة من اكبر ما قدر عليه فلما راح اتى بهن في جراب متأبطاً به فالقاه بين يديها ففتحته فتساعين في بيتها فوثبت وخرجت فقالت لها نساء الحي: اذا اتاك به ثابت فقالت اتاني بأفاعي في جراب فقلن وكيف حملها ، قالت تأبطها ، قلن لقد تأبط اذن شراً . . . . ! !

كان الرجل على ما وصفه ابو الفرج دميماً ضئيلاً وكان فاتكاً شديداً ، وكان يعدو على رجليه . قال احدهم : نزلت على حي فسألتهم عن خبر تأبط شرا فقال لي بعضهم وما سؤالك عنه ؟ اتريد ان تكون لصاً ؟ قلت لا ، ولكن اريد ان أعرف اخبار هؤلاء العدائين فاتحدث بها . فقالوا ان تأبط شراً كان اعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين، وكان اذا جاع لم تقم له قائمة فكان ينظر الى الظباء فينتقي على نظره اسمنها ثم يجري خلفه فلا يفوته حتى يأخذه فيذبحه بسيفه ثم يشويه فيأكله !

لا ادري اذا كان تأبط شراً على ما تقول الحكاية من انتقاء الظباء في الفلاة والجري خلفها حتى يأخذها ، ولكني موقن ان البدوي المتخفف من الطعام اذا ضؤل جسده وخف وزنه وذهب لحم « بطنه » من ادنى ساقيه يستطيع ان يعدو كالريح ويصل الى ما يريد في سرعة غريبة مدهشة مخيفة والملحوظ ان اكثر العدائين لصوص يظفرون بالاسلاب اليسيرة لتمكنهم من الهرب قبل ان تدركهم الخيل ولو كانت من الجياد الصافنات . وتأبط شراً زعيم اللصوص من صعالكة الشعراء بلا ريب .

فقد ذكر الرواة انه اغار ومعه ابن براق الفهمي عـلى بجيلة فاطردا لهم نعماً ونذرت بهما بجيلة فخرجت في آثارهما ومضيـا هاربين في جبال السراة وركبا الحزن . . . وذكروا انه خرج غازياً هو ورجل معه فيصيب حاجته فأتى ناحية من بجيلة فقتل رجلا ثم استاق غنماً كثيرة فتبعه بعضهم على خيل وبعضهم رجالة وهم كثير فقتل صاحبه ورجع الى امرأته ناجياً .

ولكن تأبط شراً هذا الذي نقلت لك طرفاً من انبـائه ، ورسمت جانباً من حياته وخلقه ، كان يقول الشعر الصـادق في الشئون التي تحدث له ، وشعره صورة دقيقة للطبع المتأبد السيء الذي لم يخالف قبيلته على شيء من العادات ، ولا التقى معها على صعيد الاخلاق العربية ، وهو القائل يصف نفسه وصفاً ساذجـاً صحيحاً .

ولست أبيت الدهر الا على فتىً	اسلبه او اذعر السرب اجمعا
قليل غرار النوم اكبر همه	دم الثأر او يلقى كمياً مقنعا
قليل ادخـار الزاد الا تعلة	وقد نشز الشرسوف والتصق المعى

هذا واحد من ادباء السوء الجفاة ، وآخر هو الشنفرى، وكان صديقاً لتأبط شراً ورفيقاً له في الغزوات فمـات قبله فرثاه بشعر استنزل فيه على قبره الغمام وصيب الماء وذكر ايامه « الغر » وتمنى لو كان معه . وزعموا انه صلب بعد قتله فلبث عاماً او عامين مصلوباً وذلك انه لما ترعرع جعل يغير على الازد فيقتل من ادرك . ثم ان رجلاً من الازد قال تركت الشنفرى بسوق حباشة فقال له احدهم والله لئن كنت صادقاً لا ترجع حتى نأكل أليف لبيدة . فقعد له

على الطريق هو وابنا حرام فلما احسوه في جوف الليل نزع نعلا والبس نعلا ليخفي وطأه ، فلما سمع الغلامان وطأه قالا هذه الضبع فقال اسيد ليست الضبع ولكنه الشنفرى فقتلاه وصلباه !

كانت حياة الشنفرى على ما رسمها الاستاذ البستاني « تنحصر كلها بالسلب والنهب والغارات ليلا ، والتلصص بخفة ورشاقة . يفعل ذلك وحده او بصحبة بعض رفقائه من العدائين فيروعون النساء والاطفال ، ويبلبلون عقول الرجال ، حتى اذا خافوا الخيل ان تدركهم التجأوا نحو الجبال العاصمة والاودية الوعرة والادغال الموحشة فتغلغلوا فيها »

الا ان الشنفرى ، على ما كان له من حياة رديئة ، كان صاحب « لامية العرب » التي قال فيها النبي عليه السلام : « علموا اولادكم لامية العرب فانها تعلمهم مكارم الاخلاق » فانظر كيف جمع الشنفرى بين قول الشعر الجميل وبين اصطناع الشر المنكر . ولكن لامية العرب على ما ضمت من « مكارم الاخلاق » لا تخلو من وصف ما كان يمارسه الشنفرى من السوء والاذى :

وليلة نحس يصطلي القوس ربها   واقطعه اللاتي بها يتنبل
فأيمت نسوانا وايتمت ولدة   وعدت كما بدأت والليل أليل!

واديب ثالث من ادباء السوء آذى الناس بلسانه اكثر مما آذاهم بعمله ، هو دعبل الخزاعي الذي عاش في أرقى عهود الحضارة الاسلامية ، ولكنه فيما قال ابو الفرج « شاعر مطبوع هجاء خبيث اللسان لم يسلم عليه احد من الخلفاء ولا وزرائهم ولا اولادهم ولا ذو نباهة احسن اليه او لم يحسن ولا افلت منه كبير ، ولم يزل مرهوب اللسان وخائفا من هجائه للخلفاء فهو دهره كله هارب متوار » .

بل ما لنا نستعير رأي ابي الفرج ودعبل نفسه يقول : « انا احمل خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة لست اجد من يصلبني عليها» .

وتلك فترة طويلة حقا في حياة شاعر سفيه سليط اللسان لم ينل فيها جزاءه صلبا او سجنا ولا ألقمه احد حجرا . . والظاهر انه اخاف الناس حتى اصبح اسمه يمثل الهول ويصور الرعب ، فمن طريف ما يروي دعبل عن نفسه : « صرع مرة مجنون بحضرتي فصحت به « دعبل » ثلاث مرات فافاق من جنونه ! » .

ومهما يكن الصدق في هذه النكتة التي اضحكتني طويلا ملء في ورئتي ، فالمأثور ان دعبل كان يتشطر ويصحب الشطار ، فخرج هو ورجل من اشجع فيما بين العشاء والعتمة فجلسا على طريق رجل من الصيارفة — لعله كان كصيارفة الحرب هذه — وكان يروح كل ليلة بكسبه الى منزله ، فلما طلع مقبلا اليهما وثبا اليه فجرحاه واخذا ما في كمه ومات الرجل مكانه . واستتر دعبل وصاحبه ، وجد اولياء الرجل في طلبهما ، وجد السلطان في ذلك .

ولعلك تستطيع ان تلمس نفسية دعبل ، وان تعرف الغاية من اذى لسانه ، اذا رويت لك هذه القطعة الفريدة الرائعة التي تصور السوء واخذ الناس بالرهبة وفضح معايبهم والتي لا احسب ان لها اختا في الادب العربي كله . فقد قال بعضهم لدعبل ويحك قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد ووترت الناس جميعا فانت دهرك كله شريد طريد هارب خائف ، فلو كففت عن هذا وصرفت هذا الشر عن نفسك . فقال ويحك اني تأملت ما تقول فوجدت اكثر الناس لا ينتفع بهم الا على الرهبة ولا يبالي بالشاعر وان كان مجيدا اذا لم يخف شره ، ولمن يتقيك على عرضه اكثر ممن يرغب اليك في تشريفه وعيوب الناس اكثر من محاسنهم ، وليس كل من شرفته شرف ، ولا كل من وصفته بالجود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه انتفع بقولك ، فاذا رآك قد اوجعت عرض غيره وفضحته اتقاك على نفسه وخاف من مثل ما جرى على الآخر . ويحك يا أبا خالد ، ان الهجاء المقذع آخذ بضبع الشاعر من المديح المضرع . فضحكت من قوله وقلت هذا والله مقال من لا يموت حتف انفه .

اي نعم هذا مقال من رهف حسه ، وقويت نفسه ، وطغت شخصيته ثم عرف ان كتف الناس تؤكل من ناحية معايبهم ، وهي متوفرة فيهم ، فتعالى عليهم واخذ بضبعهم ، فهجاهم كلهم وفلسف هجاءه كما يقول الاستاذ العقاد فلسفة من يريد ان يجعله قانونا ينبغي ان ينهض به كل شاعر وكل انسان اذا رغب في عظم الشأن ومخافة الناس له . وروح الشر ، في القطعة الفريدة الرائعة ، متجسدة عنيدة أثرة قوية الاصول من نفس القائل ، وبالغة الاثر في سمع القارىء .

ولكن دعبل الشرير يناغيه الحنين ، وتهدهده العاطفة ، وتعاوده الذكريات من حين لحين ، فيهدأ ويصير الى الوداعة في ظلال الهوى وغمرة الشباب . فقد قال بعضهم كنت مع دعبل في شهرزور فدعاه رجل الى منزله وعنده قينة محسنة فغنت الجارية بشعر دعبل :

اين الشباب واية سلكا   لا أين يطلب ضل بل هلكا

قال فارتاح دعبل لهذا الشعر وقال قد قلت هذا الشعر منذ سبعين سنة !

وهنا نترك كتاب الاغاني ، ونترك شعراء العرب من الجاهليين

والعباسيين ، لننتقل فجأة الى الارض الفرنسية والادب الفرنسي في اواخر القرون الوسطى او اوائل النهضة الاوروبية ، فنصحب شاعراً « يكاد يكون كبيراً » على حد تعبير الناقد اميل فاجيه ، وهو صاحب جولات بارعات في الشعر الوجداني الغنائي ، واعني به فيللون Villon .

ولد بباريس عام ١٤٣١ من ام فقيرة بالغة الفقر ، بائسة الى حد ان وضعت طفلها الناشىء بين يدي رجل محسن تبناه وحدب عليه وعلمه علوم عصره من نحو ومنطق وبلاغة واخلاق ولاهوت ، حتى نال شهادة الاجازة وهو في الحادية والعشرين من عمره واخذ الشاب وقد استوثق من شأن ثقافته يجري في منعطفات الحياة الحرة الغريزية التي لا تخلو من خطورة الانزلاق في مهاوي الرذيلة ومواضع المكروه ، فلها بالنساء الحسان ، وغامر في سبيلهن كل مغامرة . وحدث وهو في السادسة والعشرين من عمره ان رمى راهباً بحجر في وجهه فأدماه فمات في صبيحة اليوم التالي . فهذا اول جرم ارتكبه الشاعر ولكنه لم ينل عليه عقاباً . وجرم آخر لكنه شائن هو السرقة . نعم لقد سرق فيللون في بعض الليالي خمسمئة قرش ذهب من صندوق كلية « نافار » واستعان لهذا الغرض بطائفة من اللصوص المهرة وبطائفة من المفاتيح المزورة ايضاً . . . ثم فر من وجه القانون الى بعض الاقاليم النائية من اطراف الارض الفرنسية التي لا يظهر فيها سلطان الحكومة بباريس ظهوراً واضحاً ملموساً . ولم يكن فر ليختبىء وانما فر ليسرق البيوت وينهب القرى ويقطع الطريق على المسافرين الامنين . ويتزعم الشاعر عصابة ذات خطر على المجتمع وعلى حياة الناس ولكن يد العدالة والقانون تمتد اليه آخر الامر فيصير الى السجن مرات ، فاذا كان في غياهبه وبين جدرانه ثاب الى الرشد واعلن التوبة ، فيصدر عنه العفو وينطلق حراً ثم يعود الى ما كان عليه من افساد الحياة على الناس والحكام فيعود الى مكانه من السجن . . وقد سجنه مرة مطران اورليان ، وحبس عنه الماء ، واوثقه برجليه زماناً طويلاً ، فكان لهذه الالام المتصلة في نفسه ذكرى واي ذكرى ترى اثرها في شعره على صور من العاطفة القوية الزاخرة . وتدخل الملك لويس الحادي عشر في الامر فعادت اليه حريته ورجع الى باريس ولكنه رجع ليعاشر رجال السوء من اللصوص . وضاق به صدر الحكومة آخر الامر فصدر بحقه ذات يوم حكم القتل بالمقصلة ! وتستطيع انت ان تتصور قلق شاعر صاحب احساس من جراء هذا الحكم القاسي ، فما كان شبح المقصلة ليفارق خياله ، فقضى اياماً سوداً من عذاب النفس وخوف المصير حتى جاءه العفو من جانب البلاط الملكي ، هنالك اطمأن على حياته وزايله القلق ثم نظم قصيدتين من الشكر « اشتركت فيهما كل جوارحه ونبضات شعوره وكل ما يملك من فن وخيال » كما يقول بول فاليري .

وتنتهي حياة فيللون . . . كيف انتهت ؟ ومتى انتهت ؟ ليس يعلم احد من المؤرخين بما فعلت الايام بالشاعر المنكود !

هذا الولد الرديء كما يصفه فاليري ، هذا المتشرد الفوضوي ؛ هذا اللص الخطير ، يحتل الان في صدر الادب الفرنسي اسمى منازل التقدير ، كأنما الرذيلة الكبرى شدت من أزر ملكته الشعرية واسترعت انظار من لحق به من الشعراء ومؤرخي الادب . ففي شعر فيللون « مجرم يتكلم ، ويتكلم كشاعر من الطراز الاول » على حد تعبير فاليري .

واظنك رأيت فيما عرضت عليك من حياة فيللون ملامح مشابهة من حياة تأبط شراً والشنفرى وغيرهما من صعالكة الشعراء العرب في الجاهلية وبعد الاسلام . فهنا مجال الموازنة بين هؤلاء وبين فيللون واسع خصب لمن يريد من الباحثين في الادب المقارن .

يتساءل بول فاليري في محاضرته القيمة عن فيللون وفراين : كيف استطاع رأس واحد ان يجمع بين مفهوم الشر وارادة الشر ، وبين حساسية يقتضيها الفن وشعور بالذات دقيق واضح في هذه القصيدة المشهورة « صراع بين القلب والجسد » ؟ كيف استطاع من يخشى المقصلة ان يتغنى بأرق الشعر واجمله ؟ تلك مشكلة يضعها فاليري امام علم النفس الحديث ثم يطلب الجواب عليها . . . ولكنه عاد فألقى عليها بعض الضوء ، قال : « ان السلوك الشاذ ، والصراع مع الحياة القاسية ، وسكنى السجون والمستشفيات ، والعربدة المتصلة ، ومخالطة الادنياء ، وحتى الاجرام نفسه — كل ذلك مما يلتئم والانتاج الشعري الرفيع فالحق ان الشاعر ليس رجلاً اجتماعياً بالمعنى المعروف لهذا الاصطلاح ، فما دام الشاعر شاعراً فلن يستطيع ان ينتظم في اية نفعية من الهيئات التي تنشد مصلحتها من طريق الحرص على الاخلاق والقانون ، فالقوانين المدنية تلفظ انفاس حرمتها على عتبة شعره . وها هم كبار الشعراء كشكسبير وهوجو قد تصوروا كائنات شاذة متمردة على كل سلطان هي ابطال محببة الى جمهرة القراء . فالشاعر يحمل في نفسه اذن جانباً من « الشعور الرديء » وله دستوره الذي يحتوي على هذه المادة المنفردة « تحت طائلة الموت الشعري ، لتكن لك موهبة بل اكثر من موهبة بقليل » .

حمص محمد روحي فيصل

سراب

★

اوصفي قرنفلي

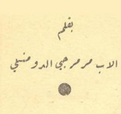
حمص

عصف اليأس ، بالبقية من كأسي ، فافرغت في التراب شرابي
ونفضت المنى ، فأهوين أنقاضاً ، « الى النار ، ياسياط العذاب »
« آه منكنّ ، آه ، انتن دائي ، وجراحي ، وحيرتي ، واغترابي »
وتنهدت ، مجهدٌ بلغ الشط ، واجهشت للضفاف الرطـاب :
ايها اليأس ! انت برء ، وعود ، مطمئن ، الى مراح الشباب .
حلم كاذبٌ ، صحا عن جراح ، لا تعي ، هل وعت مدى القصّاب ؟
الدجى مغلق ، ترى الصبح قد مات ؟ هل الصبح مثلنا من تراب ؟
اي تيه هذا ؟ الا ناس في الارض ؟ الا درب في ظلام الضباب ؟
عطش في اللهى ينوح ، الا ساق ؟ اما ثمّ قطرة من شراب ؟
قيل ، « في اليأس راحة » تعس القول ، وهذي اشلاؤه في ثيابي
ان شر الجراح ، جرحك يا يأس ، بل الموت دون هذا العذاب
الفراغ العقيم ، لون من الموت ، تعرى ، حتى من الاكتئاب
خُلق العقل كافراً ، وطغى العلم ، وصرّت انيابه كالحراب
فتهاوى الايمان ، شلواً ذبيحاً ، يتضاغى ، مـا بين ظفر وناب
يا ضلالي ! طال السرى ، وتداعى دربك الميت ، متعباً في الشعاب
يا رجس العلوم ! أتقى وامحى من جميع العلوم ، طهر الغـاب
ان خيراً من الحيـاة بلا رب ، وأندى ، عبادة الانصـاب !
المنى والدموع ، والالم المبدع ، سر الحيـاة ، روح الشبـاب
والمنى ، والدموع ، والالم المبدع ، حالت الى رماد هـاب[1]
نفض اليأس في دمي ، عنصر الموت ، وذر الصحراء في اهدابي
قتل الشعر في فمي ، ولواني عن صحـابي ، فملني اصحـابي
صبغ الافق بالدجى ، وأتى الخمر ، فصب الظلام في اكوابي
عقمٌ لفني ، ومسر دنيـاي ، فماذا ؟ والعقم في اصلابي
يا لفقري ! حرمت حتى من الدمع ، ومن رعشة الاسى ، في اهابي
يا أماني ! عدن بي ، هزني الشوق ، وضجت ، في رمتي ، اعصابي
انكن السياط ، تلهب ان مست ، و كل الحياة ، في الهـابي
عادني الشوق - يستغيث - الى دائي ، وجرحي ، وحيرتي ، واغترابي
يا امانيَ ! ، انفضي في حياتي ، في دمي الميت ، خفقة من خضاب
يا ضـلالي ، عد بي الى الوهم ، اعبده ، وأبن ، في ظله محرابي
ان من تصدق الليالي ، لفي رعب ، وشوق ، الى رفيف الكذاب
الاماني من سراب ، ولكن ، آه . . . من لي بجرعة من سراب ؟

(١) ترى ، أيرضى شاعر الهوى والشباب والامل المنشود الاستاذ بشاره الخوري ، ام يثور ويتمتم : سارق ، فهاتوه ، وفي الجحيم فاصلوه ، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه !

وصفي

هل العقل عربي



الاستعارة من مألوف البشر ، افراداً كانوا ام جماعات ، اسراً ام امماً . والسبب في ذلك الحاجة . لكون الكمالات ليست بمحتكرة عند فرد واحد ، او جماعة دون غيرها ، بل هي متوزعة بين الورى قاطبة . فالبعض حاصلون على طائفة من ضروب هذه المزايا ، وغيرهم حائزون طائفة اخرى منها . من ذلك نشأت ضرورة اقتراض المرء ما ليس له من غيره ، واقتراضه من سواه مما يملكه . وليس في هذا التبادل بين البشر من عيب ولا عار .

وهذا الامر ظاهر في الفاظ اللغات ، كما في غير ذلك من الشؤون المادية او العقلية ، او الاجتماعية ، او الدينية . لان كل المفردات الدخيلة في لسان من الالسن تدل ، غالب الاحيان ، على ان الاشياء المطلقة عليها هذه الحروف قد استعارها الشعب من غيره وهذا ماجرى في القديم ، وما يزال جارياً في زماننا ، وسوف يقع في مستقبل الايام .

دونك مثالين ، بين عشرات لا بل مئات من الامثلة . ان كلمة « فلسفة » دخيلة في العربيـة . لان الفلسفة علم قد وضع اليونان اصوله وقواعده واساليبه . وقد دعوه في لغتهم philosophia وهي كلمة مركبـة من philos ، صديق ، ومن sophia ، حكمة . فاستمد العرب من اليونان هـذا العلم واستعاروا منه تسميته ، فجرت على السنتهم لفظة « فلسفة » - بالعكس ان علم « الجبر » من مخترعات العرب . فتلقاه عنهم الفرنجة ، مع اسمـه ، فقالوا في لغاتهم « Algèbre » .

وفي ايامنا هذه ، كم وكم من الالفاظ الاجنبية قد ولجت لغتنا العربية مع الاشياء التي جاءتنا منهم ، وقد اطلقت عليها هذه الاسمـاء . من ذلك : التلفون ، والتلغراف ، والفتغراف ، والتلسكوب ، والمكروسكوب ، والفنغراف ، والسـينما ، والاتومبيل ، وغيرها ممـا يعد بالعشرات والمئات والالوف . وهي بأسرها تدل على اشياء ، او امتعة ، او آلات لم تكن معروفـة عندنا ، وقد اخترعوها هم ، ونحن اخذناها منهم .

فاذا كان الامر كذلك ، باي جواب يا ترى يخلق بنـا الاجابة عن السؤال المعنونة به هذه الكلمة : « هل العقل عربي؟ » أنقول بانه دخيل ، أم اصيل في العربية ؟ فان ذهبنا الى دخيليته ، كان ذلك حسب الاصول المرعية القاضية بولوج التسميات الغريبة الى اللغة ، عندما يشرع اهلها في استخدام الاغراض الدالة عليها ، بين شعب او شعوب أخر .

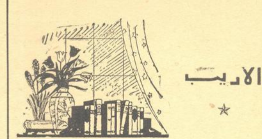
أجل ! ان كان « العقل » غير عربي ، حتم المنطق ان العرب لم يكن لهم عقل ، فاضطروا الى استعارته من الاجانب هو واللفظ المطلق عليه . وكلٌ يرى بعجب ونفور مـا في ذلك من الحط من قدر وشرف العروبة . لان أقـل ما يمكن قوله عن العرب هو كرنهم بشراً ، والميزة الفارقة للبشرية هي « العقل »

والحال هناك من يزعم ان العقل ليس بعربي ، بل هو دخيل الى العربية من اللاتينية التي يدعى فيها العقـل Oculus ، اي ocul مع الكاسعة الاعرابية us ، ومعنى الكلمة « عين » وقـد قلب حرفه الاول عيناً في العربية ، فاضحى « عقلاً » (1)

اما انت ايها العربي الكريم ، فكن مطمئناً ، ولا يخالجنك ادنى ريب في ان كلمة « عقل » عربية صميمة . مما لم يحتج العرب معه — والعياذ بالله — الى استقراض « العقل واسمه » من الاغراب فان العرب كانوا ولم يزالوا متصفين بالعقل ، لا بل بدرجة من اسمى درجاته .

اثبت القضية اولا بالبرهان السلبي فأقول : ان اللفظة اللاتينية oculus الدالة على العين ، لا تعني بذاتها ووحدها ، « العقل » ، لا وضعاً ، ولا مجازاً . فان العقل ، في اللاتينية ، يطلق عليه كلمة mens او spiritus او intellijentia . اما في المجـاز فتضاف oculus الى mens او spiritus ، فيقـال oculus mentis او oculus spiritus ، يراد بذلك « عين النفس » لتعيين الادراك . كما يقال ايضاً مجازاً oculus mundi « عين العالم » اي الشمس ، دون ان تعني oculus ، وهي منفردة ، الشمس ذاتها . فكما ان العين يراد بها ، من باب الوضع اللغوي ، الحاسة التي بها تدرك المنظورات ، فالعقل ايضاً هو العين التي بها تعرف المعقولات . وهذا التشبيه طبيعي وبشري ، وله وجود عند كل

(1) « لغة العرب » ٤ - ٦ - ٢٧٢



الاديب

★

— لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير)

— تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :

في سوريا ولبنان : ١٢ ليرة لبنانية

في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ١٠ يعادلها ترسل حوالة بريدية دولية او حوالة على مصرف بيروت

— الادارة غير مسؤولة عن الاعداد التي تفقد في البريد

— المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

— لدى الادارة مجموعات من الاديب تطلب بالثمن التالي :

السنة الاولى ١٩٤٢ ٣٥ ليرة او ٤ جنيهات انجليزية
« الثانية ١٩٤٣ ٢٥ « او ٣ «
« الثالثة ١٩٤٤ ١٥ « او ٢ «
« الرابعة ١٩٤٥ ١٥ « او ٢ «

ويحسم ٢٠ ٪ لمن يطلب الثلاث مجموعات الاولى معاً

★

ادارة الاديب : شارع الاحرار ، غربي ساحة الدباس

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب
سكرتير التحرير : بهيج عثمان
المدير الفني : مختار شملي

◆

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت — لبنان

الاقوام ، وهو كذلك في العربية ، لكن لا في لفظة « عقل » بل في مفردة « بصيرة » فالبصر هو النظر ، وآلة النظر هي العين ، او الباصرة . وللدلالة على عين النفس التي بها تدرك او تعقل ، وضعوا كلمة « بصيرة » ، كما قال اللاتين oculus spiritus ، اي « عين النفس او الروح » .

اما لفظة « عقل » فلا تدل الى عين ، لا وضعاً ، لا في العربية ولا في اللاتينية . اذن لم يستعر العرب لا العقل — وهو خاصة بشرية عامة تشمل سائر بني آدم — ولا لفظه من اللاتينية .

زيادة على ذلك ، اثبت بالبرهان الايجابي ان العربية ليست بمفتقرة الى استقراض هذه المادة ، لكونها ، في ذا الشأن — كما في غيره من الشؤون اللغوية — اغنى من سواها من الالسن . ودونك ، على سبيل المثال ، طائفة من المفردات المطلقة على قوة النفس المدركة : « الذهن ، الذكاء ، الالب ، الفؤاد ، الفهم ، الفطنة ، الادراك ، الحدس ، الركن ، العقل ، الحجى ، النهى ، البصيرة ، الخلق ، الثقافة ، الطينة ، اللقانة ، الرشد ، الدراية ، الصواب » . فهل يقبل العقل الشريف ان لغتنا الكريمة ، الغنية هذا الغنى ، تحتاج الى كلمة تدل على العقل ، فتضطر الى استقراضها من لسان اجنبي ؟ ! !

هذا وكل من هذه الكلمات يدل على خاصة ، او قوة ، او فعل راجع الى النفس البشرية العاقلة . ومن جملة هذه الكلم لفظة « العقل » المشتقة من « عقل » المراد به المنع . لان احد افعال النفس متوقف على منع الانسان مما لا يليق .

وعَقَل ، من حيث اللغة ، معناه : اوثق او ربط الجمل اوغيره بوثاق . ومنه « العقال » للبعير ، وهو الحبل الذي يوثق به .

و « عقل » الثلاثي ناشئ عن « عق » الثنائي ، بزيادة اللام تذييلاً . و « عق » : يعني : شق ، رمى ، عصا وترك الشفقة والاحسان . وفي كلها مدلول القوة . وفكرة الشدة توسعت في « عقل » وتخصصت لمنطوق الايثاق والوثاق ، والربط والرباط ، ومنه المنع ، وهو من خواص العقل الادبية ، اي تحريم الشر .

ومن مرادفات كلمة « العقل » ، بهذا المعنى الادبي ، لفظتا « الحجى » و « النهى » . فيدعى العقل « حجى » لانه يحجو المرء ، اي يمنعه عن الضلال والفساد . ويسمى « نهى » لكونه ينهى صاحبه عن المنكر ، اي يمنعه ويصده .

الخلاصة « العقل » ليس بدخيل من اللاتينية ، بل هو عربي صميم بحقيقته وتسميته . وفي ذلك عبرة لقوم يعقلون والسلام .

القدس — الاب مرمرجي الدومنكي

همسات تخنق

بقلم عبد الله عبد الدائم

★

تلك الهمسات هي تلك المعاني الفنية المرهفة ، تسترق نفسك او تسترق انت وجودها ، في بعض السنحات التي يستيقظ فيها شعورك الكوني ، فيقفز وجودك كله الى منبع لا محدود وعالم لانهائي .

هي تلك الاصوات الحريرية الناعمة ، تهب عليك من دنيا مجهولة ، فلا تملأ نفسك شعوراً بالجمال او باللذة او بالالم او بالقوة او بالضعف ، او بهذا الشعور او ذاك ، وانما تملؤها بكل المشاعر ، وتنثر فيها نغمة فيها كل كيان الكون وكل مجالي الحياة وكل نسغ الوجود .

هي تلك المشاعر المتململة ، تنسل في ثنايا روحك ، فتسلخ عنك جلدك السمجة الغليظة ، وتبدلك بثاقلك خفة ورشاقة ، وتذهب بك من جو الى جو ومن روض الى روض ، دون ان يكون لرحلتها حد ولا لتفتح زهراتها نهاية . ترشف فيها عصارة الوجود ورَوح الحياة ، وتتنسم من عبيرها أريج اللانهاية المسكر ، وتعلو وتعلو ، وتجوب في كل لحظة ارضاً مجهولة ، وتفضح في كل حين حياة كانت مضغة ، ووجوداً كان مكنوناً . انك لترفع الستر ، وتهتك حجب عالم اللانهاية الخصب ، فتسفر لك المعاني وتتفتح الجفون المطبقة لتقرأ فيها ما شئت من تعبير .

هي تلك الوتر الحزين او الطروب ، يبلغ نفسك ، وانت لا تدري من يضربه ، او تلك الحشرجة تترامى الى سمعك من مكان قصي ، او تلك الساريات من الانغام تصعد في سماء نفسك مغذة ، وكأنها تنسل منها الى عالم آخر لتغرد فيه عن بعد .

عالم من الصور ، ودنيا من الرؤى ، ومعان تمزج ، وافكار تعزف ، ومشاعر تأسى او تشجي ، ووجود بأسره يفرح او يكتئب . ظلال ولكنها من معان ، وقصيدة ولكنها صيغت من أكمام اللانهاية ، ووجود غير انه روافد من عصارة الوجود تكاثرت .

ليست هذه الهمسات ابنة هذه التجربة الفردية عانيتها ، ولا هي وليدة تلك النشوة سفحتها في يوم من ايام حياتك الارضية ، ولا سليلة تلك اللذة قطفتها في زاوية من زوايا العالم . وليست هذه الهمسات مهبوة من جمال تحبه ، او منظر تعشقه ، او مجلى ترتضيه . انها همسات تقبل من الكون كله ، من وجودك وقد استيقظ فيه الكون ، من كيانك وقد حلّ فيه عمر الحياة .

وبعد ، لعل التعبير عن هذه المعاني قد قارب نهايته ، لا لانه نفد ، ولكن لانه خُنق ! :

نعم! اذ لهذه الهمسات مأساة . فلقد كتب عليها ان تخنق وهي في أجنتها ، وأن يزرى بها إذا جاوزت الجنين الى المهد .

فمن الذي يخلق هذه المأساة ؟ ومن الذي يقضي على هذه الاجنة الناعمة بالانطفاء ؟ طالما حمّل الناس الالفاظ هذه الجريمة ، وطالما توهموا ان اللفظ آفة الآفات ، والعائق الاكبر في سبيل التعبير عن لطائف المعاني ودقائق الافكار .

ولكن ، لعل في تحميل اللفظ جريرة هذه المأساة وهماً وتضليلاً فاللفظ البريء ، كثيراً ما يلين وينحل ، وكثيراً ما يقوى الفكر الصناع على تهذيبه وتكييفه ، وكثيراً ما تستطيع المخيلة الخصبة ان تخلق منه ، بتنويع موضعه وقرائنه وبتجديد اشكاله ، رموزاً عظيمة الايحاء ، تصلح للتعبير عن ادق الخلجات وارهفها . نعم ، قد تتجاوز النفس حدود الالفاظ ، وقد يعجز اللفظ عن ان يمتاح آخر قطرة من معين الفكرة ، الا ان هذا الذماء ، الذي يبقى اذ يجبل اللفظ بعد ان يستنفذ جميع قواه ، هو غير الاحجام المطلق عن التعبير وتحميل اللفظ تبعة ذلك .

اذن فما مصدر هذه المأساة ؟ مصدرها هو ذاك الجوهر الاجتماعي الذي اتخذ من نفسه رقيباً عتيداً يهيض جناح من ابتغى التحليق ، ويأسر من اراد الحرية . هو هذا الكائن الاجتماعي الوقور المتلبس بمظهر الشيخ الجليل ، يريد ان يضمن الهدوء لفتوره فيحرّم كل انطلاق . هو تلك العصارة الاجتماعية تكدر العصارة الكونية الوجودية . لقد خلق هذا الجوهر الاجتماعي ليضمن حياة الاكثرية فكان صوته معبراً عن صوت العاديين من الناس ، وكانت قيمه ومعاييره معبرة عن عقل وسط ، بل لعله أميل الى الاسفاف منه الى التحليق . وليته فهم مهمته وادرك الغرض من وجوده ، اذن لما تجاوز حدوده فمد عينه الى عالم الفكر والادب والفن ، وابقى في عالم الحياة العملية ينظمه ، اي يمنعه من ان يزيد على حد معين من العلو . غير انه اشتط واجترأ على دنيا الابداع واراد ان يطبق عليها تنظيمه المثبط وتقنينه الخانق .

ولا نحسبن هذا الجوهر الاجتماعي الذي يخنق ويقتل أجنة الابتكار وقفاً على اشخاص معينين او على طبقة معينة وان المبدعين جميعاً في مأمن منه . فشكوانا ليست ، كما نسمع كل يوم ، شكوى من مستوى المجتمع او اسفافه ، ولا هي حمده على حالة

معينة او طبقة معينة ، تبدو للمجتمع نفسه أدنى من المجتمع ، وانما شكوانا من جوهر المجتمع نفسه ، ومن ارقى ما في هذا الجوهر ان شئتم . والمأساة التي نتحدث عنها مأساة وجودية الى حد كبير ، بين جوهرين ، جوهر اجتماعي وجوهر ميتافيزيائي ، كلاهما يراودنا . ومنشأ المأساة ان هذا الجوهر الاجتماعي ثاو في اعماق كل منا ، وأنه في صراع دائم مع جوهر الوجود الحقيقي فينا ، جوهر الوجود الحر الخارج عن حدود الزمان والمكان .

فكل منا يحمل في اعماقه ذلك الجوهر الذي يريد ان يضمن حياة وسطاً ووجوداً وسطاً ، لا قلق فيه ولا تحطيم ، وانما كل ما فيه نظام ساج وجريان رتيب ، لا يعرف وقفات الذرى ولا يسيغ رقي الشواهق .

وكل منا يعاني في بعض لحظات عروجه ضغط هذا الجوهر ، حين يرمقه ساخراً وينظر الى تحليقه هازئاً ، وكأنه يشير اليه بالنزول وينصحه بألا يتجاوز الحدود ولا يتخطى الممكنات ، وان يظل حيث هو ، كائناً عادياً لا يبغي غير ما يبغيه غيره ، ولا يتشوف الى غير ما جرت عليه سنة الحياة العادية .

انه ليوسوس اليه ان تطلعاته هذه ، وما فيها من مشاعر اللانهاية وهمسات المجهول ، خروج على المألوف ، وشطط على العقل السوي ، وجنة وطفولة . فخير له الا يعيرها اي اهتمام ، وان يتخلص من مثل هذه الكوابيس ويرجع الى الحياة السوية ، حياة عامة الناس ، فما وراء ما يبلغون الا طلب ما لا يطلب . فليدع هذه الهمسات ان اراد ان يكون بشراً سوياً ، وليمش في ما شق قبله من طرق وما مهد من سبل ، مسيء الظن بهذه الطيوف الخادعة ، غير مستسلم لاغرائها ، وليستحي من تحديث نفسه او تحديث غيره عنها ، وليلتمس منها الشفاء ، ضناً بعيشه ان يتكدر صفوه وبحياته ان تضطرب بعد قرار !

بهذا يهمس هذا الجوهر ، كلما همس عالم المجهول بمعنى من معانيه . سلاحه شيء يسميه ذوقاً سليماً حيناً ونظاماً حيناً آخر ، وروية واناة حيناً ثالثاً ، الى غير تلك من الاسماء التي نجح في تلقيح نفوس الناس بها ، حتى غدا من الصعب اقتلاعها .

فالذوق السليم يأمر بالبعد عن مثل هذه التطلعات ، لانه بمعياره الذي لا يخطىء ، وحاسته التي لا تضل ، يدرك ما فيها من روح غريب خيالي جدير بأن يطرد من عالم الواقع ! افلا نراه يقهقه ضاحكاً من مثل هذه الاقاصيص والاساطير ويسفه اصحابها ، ولا يفتأ ينغص عليهم بروقهم هذه حتى تحتجب ويحتجبون ؟

وروح النظام ، روح المنهج السليم والمنطق الحكيم ، يكسف كل بزوغ ، ويحجب كل شروق ، لانها لا يمنيان في نظره غير الخروج على القواعد المتبعة والحيد عن الصراط السوي . فلا جدة الا في الطريقة والمنهج ، فأحكمها تكن مبدعاً مجدداً . والناس سواسية في حظوظهم الفكرية ، ولا اختلاف بينهم الا فيما يتخيرون من طريق . اما التطلعات فاجتنبها ، واما التجارب العليا فانفر منها ، واما الهمسات فاخنقها ، تكن شخصاً معترفاً به في قائمة الاشخاص ، لم يخرج على السنة والجماعة !

وروح الروية والوقار ايضاً تعادي مثل هذه الومضات ، انها لتدعوها صبيانية وانها لتعدها ضرباً من الطيش والنزو ، العاقل من كف عنه واجتنبه . ان الوقار ليناديك الا تقبل من الافكار الا كل جليل طاعن في السن ، غير متدافع النسب ، مجرب محنك . اما المعاني الغرة ، واما الافكار الشابة ، فلا تدل الا على طفولة صاحبها وحداثة عهده بالحياة . فعليك بالاتزان ، فهو جنة ووقاية ، والزم الاناة فهي رأس الحكمة !

ومن العصي ان نأتي على جميع الصور والاشكال التي يظهر فيها هذا الجوهر الاجتماعي . فهو لا يلبس شكل الذوق السليم او النظام او الوقار فحسب ، بل الوفاً من الاشكال الاخرى : فالمطالبة بالوضوح المزدي شكل من اشكاله الخانقة ، وقلب التحليق البالغ اسفافاً بالغاً ، ووصل الذروة بالغور السحيق ، من وسائله وصوره .

فكم مرة جاء مخادعاً ، فاستثمر تلك الحالة النادرة التي يكون فيها الصعود ، وقد شارف ذروته ، اقرب ما يكون الى الهبوط ، والتي تتصل فيها اللانهايتان ، فاحالها حالة مضحكة مزرية ، وخنقها في مهدها ، اذ هو ابرع ما يكون في مثل هذه الحالات الخطرة التي يبلغ فيها التوتر الوجودي حد الانفلات .

هذه كلها نماذج قليلة من صوره الكثيرة ، لعلها تشعرنا بجريمته وتعرفنا على المأساة ومصدرها . واعود فاذكر ان هول المأساة مرده الى ان هذا الجوهر الاجتماعي ، الذي يعبر عن نفسه في هذه الاشكال المختلفة ثاو متأصل في اعماق كل منا ، وانه يراودنا دائماً ، وانه لا ينى يجرنا اليه ويبعدنا عن اصل الوجود الفني . فمن منا لم يسمع في بعض اللحظات ، التي يجرب فيها الفرار والتعالي ، تقريع الذوق السليم او تأنيب النظام او صوت الوقار او داعي الوضوح ، يثبطونه

جميعاً ويردونه خاسراً، متمثلين له حيناً في صورة شخص يعرفه او اشخاص، وفي صورة المجتمع كله حيناً آخر .

من هذا نرى المأساة واقعة وانها تهدد كلا منا، وانها تقضي على كثير من زهرات الابداع الحق، كانت جديرة بأن تسمو بالانسانية وترفع معاني الحياة . ومن هذا نعلم ان الجوهر الخلاق في الانسان، ذلك الجوهر الذي يسمو به الى رتبة الوجود اللائق بانسانيته، مكبل مقيد، لا يجرؤ على ان يفرغ كل ما لديه وان يجود بكل ما يملك، وان التحرر من هذا الجوهر الخانق المقيد وتحطيمه بفعل ارادي جبار، كفيل بأن للحياة المبدعة جدة ونشاطاً ويملأ عالم الابتكار يقظة وحدة . ولا يكون هذا الا باشباع الجوهر الآخر، الجوهر الكوني المبدع، حتى يصبح قادراً على تحطيم تلك الاصنام التي رفعها عدوه لعبادته من دونه . نعم، ان هذا العدو لم يقو على خنق كل اثر لذلك الوجود، اذ ابى هذا الا ان يظهر ولو متنكراً، ولكنه مع ذلك لم يزل غريباً في وطنه، ينظر اليه كنعمة وتفكهة، لا كأصل وجودي راسخ . لقد تبدى هذا الجوهر الكوني في الشعر اولا وفي الميتافيزياء ثانياً، ولكنه ما زال فيهما خجولا حائراً، وما زال نهباً لغارات الجوهر الاجتماعي، وعرضة لابتسامته الساخرة، اذ ينظر الى هذين الفنين وكأنهما العوبة او ألهية .

ان ازدهار حياتنا الابداعية ان يكون الا بمجاهدة هذا الجوهر الذي يوسوس لنا في الخفاء، وبالتعلق بأسباب نظرة حرة للكون، تنبش ما فيه من مجالي خبيئة، وتتقرى كل معانيه، وتبحث جاهدة عن ناعم الهمسات، مخلصة لشعورها الكوني الذي يهيب بها دائما الى رؤى مشرقة، عازفة عن ذلك الشعور المثبط الذي يأبى على المرء الا ان يحيا لجوهر اجتماعي مسف، بدلا من ان يحيا حياته ويرضي جوهر وجوده ذاته .

ان لمعات الابداع وبروقه لن تتهيأ ابداً لمن ارتضى هذا العنصر الذي يريد ان يجعل من الناس وحدات تتكرر، يسهل عدها، ويهون التفاعل بينها، كأنما آلات جميعها ان تكون نجاراً واحداً وان تختار المستوى الوسط وحدة للقياس !

ان هذه اللامعات لترقب تلك النفس التي سلخت عنها ما علق بها من لزاجة هذا الجوهر، واستطاعت ان تقتنص الوجود في صفائه وترتضع المعاني البكر .

القاهرة — عبد الله عبد الدائم

اقدس ام غرام ؟

بقلم الاب يوحنا قمير

استاذ الفلسفة العربية في جامعة القديس يوسف

*

لست اعرف في تاريخ الفكر العربي نفسية اكثر شذوذاً، واشد غموضاً، واعسر على التحليل، من نفسية ابن العربي الطائي الاندلسي، وما اظنها كذلك الا لانها نفسية نهمة غنية .

واني لن احدثك اليوم عن سياحاته العديدة، ولن اكلفك عناء مرافقته في اسفاره، فقد تنقل ٩ سنوات بين الاندلس وافريقية، وجاب الشرق مدة ٢٢ سنة، مندفعاً في تيار طبيعة لا تعرف الاستقرار، وحس لا يمل الجديد .

واني قد اشفق عليك، وربما اشفقت على نفسي، ان جبت بك في مجاهل فكره، وحاولت معك تفهم رأي، وايضاح عقيدة، وتمييز صحيح مما في فكرته من عناصر متباينة، ولما ادعاه من الهام، وعرضه من رؤى، وابتدعه من شاذ وغريب — وكأن عقله لم يكن اكثر استقراراً من جسده، ولا اضيق اغواراً من حسه .

على انك لن تجد نفس الجفاف، ولن تشعر بنفس السآمة -- وان لاقيت المشقة، وقاسيت الجهد — عندما نعرض معاً لقلب ابن العربي، او قل لعفافه، لان ابن العربي شاعر صوفي، رجا الكمال وغنى الحب .

وان عفاف ابن العربي لمجال شك، ترتاب فيه عندما يطلعك على بعض علاقاته، وترتاب عندما تطالع شعره، وقد تتحامل عليه كما تحامل معاصروه .

والان سر معي نتتبع هذا الصوفي، فنلم بعلاقات، ونطلع على شعر، ونتعرض لاحلام، ثم نحاول حكماً، لا مترددين ولا جائرين .

لقد كان ابن العربي في فجر الشباب، وبدء التصوف، عندما اتصل بعجوزين متصوفتين، اسم احداهما ياسمين والاخرى فاطمة .

اما الاولى فكانت من « الاواهين » الذين يعبدون ربهم بالتأوه والزفير ، واما فاطمة فاليك ما رواه لنا عنها : « خدمت انا بنفسي امرأة من المحبات العارفات باشبيلية يقال لها فاطمة . . . خدمتها سنين ، وهي تزيد في خدمتي اياها على ٩٥ سنة . وكنت استحي ان انظر الى وجهها ، وهي في هذا السن ، من حمرة خديها ، وحسن نعمتها وجمالها ، تحسبها بنت اربع عشرة سنة من نعمتها ولطافتها . وكانت تؤثرني على كل من يخدمها من امثالي . » نحن نفهم ان تؤثره العجوز ، وان تميل اليه ، ولكن هل آثرت ومالت ، دون ان تلمح عاطفة مماثلة ؟ ألم يضطرب حسه امام جمالها ، وحمرة خديها ؟ الم يرها فتاة بنت اربع عشرة ؟ ومن عساه يرى ذاك في عجوز ، ان لم يطغ الميل وتتضخم الشهوة ؟ على انها ظلت شهوة في القلب ، يمسكها وقار العجوز ومكانتها ، ويلوي عليها حياء « السالك » ، حياؤه من نفسه ومن الناس . وانك لتتبين في نفسية ابن العربي ، منذ هـذه الصلة الاولى ، ذاك المزيج من الهوى والامساك ، من التردد بين الارض والسماء .

واتى ابن العربي الشرق ، وبلغ مكة ، حيث تعرف الى اسرة متصوفة ، اسرة مكين الدين الاصفهـاني . وكان لمكين الدين اخت مسنة ، وابنة فتية . اما الاخت فطلب منها رواية حياتها ، ولكنها احتجت بدنو الاجل ، واذنت لاخيها ان يكتب له ما شاء . واما الابنة فهاك بعض ما قاله فيها :

« وكان لهذا الشيخ بنت عذراء ، طفيلة هيفاء . . . تلقب بعين الشمس والبهاء ، من العابدات العالمات ، السابحات الزاهدات . . . ساحرة الطرف عراقية الطَرف . . . ولولا النفوس الضعيفـة ، السريعة الامراض ، السيئة الاغراض ، لاخذت في شرح ما اودع الله تعالى في خَلقها من الحسن ، وفي خُلقها الذي هو روضة المزن . . . يتيمة دهرها ، كريمة عصرها ، بيتها من العين السواد ، ومن الصدر الفؤاد » .

واريد الان ان انبهك الى أشياء . واول شيء ان هذه الصلة لم تعد بين عجوز وفتى ، بل بين رجل ناهز الاربعين ، وفتـاة في فجر الشباب ، وان مجال العاطفة عند ابن العربي اصبح افسح واقوى . ثم ان هذه الصلة واقعـة بين شخصين متصوفين ، ولا ريب في ان الفتاة كانت ترى في ابن العربي الرجل والصوفي ، كما كان يرى فيها جمال الخلق والخلق ، وان الميل المتبادل كان يتقنع بهذا الاعجاب الروحي المتبادل ، ليتقي الاثم ، ويتمادى في الوهم . وان ابن العربي ، اذ تمادى في وصف فتاته ، اشفق من ان يكتشف هواه او يفترض ، فاقتصد في الوصف خوفاً من النفوس المراض ، السيئة الاغراض ، ومن يدري ؟ ! والا مـا هذا الديوان الشعري الذي ينظمه في فتاته هذه ؟

الا اقرأ اولاً هذه الابيات الصريحة :

مرضي من مريضة الاجفان ... عللاني بذكرها ، عللاني
بابي طفلة لعوب تهادى ... من بنات الخدور ، بين الغواني
من بنات الملوك ، من دار فرس ... من اجلّ البلاد ، من اصفهان !
لو ترانا برامة نتعـاطى ... اكؤساً للهوى بغير بنان ،
والهوى بيننا يسوق حديثاً ... طيباً ، مطرباً ، بغير لسان ،
لرأيت الذي يذهب العقل فيه ... يمن والعراق معتنقـان !

ثم تأمل في هذا المقطع الملتهب :

يا دمعتي ، فانسكبي ! ... يا مقلتي ، لا تُقلعي !
يـا زفرتي ، تصعدي ... يا كبدي ، تصدعي !
وانت ، يا حادي ، أتئد ... فالنـار بين اضلعي
ونادهم : من لفتىً ... ذي لوعة ، مودع ؟ !
يا قمراً تحت دجى ، ... خذ منه شيئاً ودع ،
وزوديـه نظرة ... من خلف ذاك البرقع ،
لانه يضعف عن ... درك الجمال الاروع ،
او عاليـه بالمنى ... عساه يحيا ويعي !

والآن قل لي ، ايصدر هـذا الشعر عن قلب هادىء طهور ، ونفس وادعـة مطمئنة ؟ الم يذكر لك الشخص ونسبه ؟ الم يبح لك بذاك الحديث الصامت وذاك العنـاق الغريب ؟ الم تشعر معه بلوعة ذاك الوداع ، وحرقـة تلك الضلوع ؟ ثم الا تلاحظ ، الى جنب ذلك ، اشفاقاً من الجمال السافر ، وقناعة بالنظرة الخافتة ، وتجلّدا باكثره على حبيبه ، وهو ما يريك ثانية هذا التردد في الهوى ، والخوف من التمادي ؟

انك قد ترى كل ذلك ، اذا لم تتكلف المداورة والمراوغة ، ترى الشهوة الثائرة الجموح ، وترى التردد والامساك ، وقـد ترى حظ الشهوة اوفر ، فتشك في عفاف ابن العربي وتتهمه ، كما شك معاصروه من فقهاء حلب واتهموه .

وحاول ابن العربي دفع التهمة وصيانـة الصيت ، فشرح ديوانه شرحاً صوفياً رمزياً ، مدعياً انه يومىء في غزله الى الواردات الالهية ، والمناسبات العلوية ، وان الله هو محبوبه الحقيقي الوحيد ، وزعم انه قرأ شرحه على فقهاء حلب فاقتنعوا وتابوا .

اما نحن فقد طالعنا كثيراً من هـذا الشرح ، ولم نطمئن الى الاقتنـاع ، بل وجدناه تأويلات بعيدة غريبـة ، ووجدنا

معانيه ابعد من ان تثير مثل تلك الزفرات . والان اقرأ تفسير هذين البيتين :

يا دمعي ، فانسكبي … يا مقلتي ، لا تقلعي
يا زفرتي تصعدي … يا كبدي تصدعي !

فهو يقول انه « يخاطب عالم النزول والصعود ، كما ورد في الخبر (يتعاقبون فيكم ملائكة الليل وملائكة النهار) ، فما يصعد منه فهو الهمة ، وما ينزل اليه فهو المعارف الوهبية ، والتي تأتي بها الملقيات » . ونحن نعتقد ان « عالم النزول والصعود » لا يستطيع اثارة مثل تلك الشجون ، او ايحاء مثل هذا الشعر ، وانا لنشفق على هذا الشعر من مثل هذا التأويل ، نشفق على ابن العربي الفنان من ان نصدقه ، وان نمسخه .

ثم اني ان احدثك عن تلك الجارية الرومية ، التي لحقت به بعد طواف ليلي ، فضربته بين كتفيه بكف الين من الخز ، وسحرته بحسن وجهها ، وعذوبة منطقها ، وتفوق ظرفها وادبها ، فرأى فيها « قرة لعينه » ، وعاد بعد ذاك فعرفها وعاشرها ، لن احدثك عن كل ذلك ، ولن اقف بك ، لانها صلة من نوع الصلات السابقة ، ان اطلعتنا على شيء فعلى ذاك الارهاف في الحس ، وذاك الطمع في الشهوة .

على اني انتقل بك من عالم اليقظة الى عالم الاحلام . ومن يدري ؟ لعل الاحلام ادل على الحقيقة ، واصدق في تصوير الاميال ألم يقل « فرويد » بان الحلم تحقيق رغبة في النفس ، ضن بها الواقع او ردع عنها رادع ؟

اسمع ما رواه ابن العربي يوم دخل بجايه سنة ٥٩٧ ، اي قبل انتقاله الى الشرق واتصاله باسرة مكين الدين بسنة واحدة ، قال :

« رأيت ليلة اني نكحت نجوم السماء كلها ، فما بقي منها نجم الا نكحته بلذة عظيمة روحانية ، ثم لما كملت نكاح النجوم ، اعطيت الحروف فنكحتها » .

وان هذا الحلم في نظري لواضح ، ان هو الا اشباع شهوة مكبوتة ، تجفل من مصارحة نفسها — حتى في الحلم — فتتجه الى النجوم والحروف !

واليك هذا الحلم الاخر ، نقتطفه من الديوان الاكبر ، قال :

البست جارية ثوباً من الخفر … في النوم ، ما بين باب البيت والحجر
وقبلته ، فقبلنا مقبلها … وغبت فيه عن الاحساس بالبشر
واستصرخت في ثنيات الطواف ، وقد … حسرن عن اوجه من احسن الصور
هذا امام نبيل بين اظهرنا … هذا قتيل الهوى واللثم والنظر !
قالت لها قبليه الام ثانية … عساه يحيا كمثل النفخ في الصور
فالنفخ يخرج ارواح الورى وبه … يحيا اذا دعيت للنشر من حفر
فعاودت فازالت حكم غاشيتي … وادبرت وانا منها على الاثر
اقبل الارض اجلالاً لوطأتها … حباً له ، وانا منه على حذر
من اجل تقييده بصورة امرأة … عند التجلي ، فقلت النقص من بصري
ونسوة كنجوم في مطالعها … وانت منهن عين الشمس والقمر
يا حسنها غادة كالشمس طالعة … تسبي العقول بذاك الغنج والحور !

واني الاحظ في هذا الحلم ما لاحظت الى الان ، وهو هذا المزيج من الشهوة والامساك ، او قل من الشهوة والتقنع . اني ارى غشياناً ينتج عن تقبيل ، وتقبيلاً يزيل غشياناً ، وارى وصفاً لوجوه حاسرة ، وحسان حور ، ثم ارى الى جنب ذاك حذراً من هذا الحب ، وتوهماً لتجلي الله في امرأة :

. . . . . . وانا منه على حذر من اجل تقييده بصورة امرأة عند التجلي ، فقلت النقص من بصري وارى الاثنين معاً في هذا البيت الصريح الغريب .

هذا امام نبيل بين اظهرنا … هذا قتيل الهوى واللثم والنظر !

وان ابن العربي حقاً لذاك الامام النبيل ، جنى عليه حس شهوان ، وهوى ملحاح ، فتزاحمت في نفسه الاهواء ، واختلطت عليه الطرق .

لقد اقدم ابن العربي على التصوف مخلصاً ، وكان وقاره واجلال الناس له يدفعانه الى ضبط الهوى ، وقتل الميل ، ولكنه نهم الحواس ، ولكنها فتن الدنيا ، واذا به لا يملك غض العين او حبس اللسان ، ومن يكون له مزاجه ، ويجوب الدنيا ، وتعرض له الغوايات ، ولا تطغى عليه الاهواء ، وتنال من عقله وتقاه ؟

نحن نتهم ابن العربي — نتهمه بالحب البشري — على انا نقتصد في الاتهام ، ونعتقد انه كان من تلك الارواح الفنية ، التي تتجاذبها الارض والسماء ، وتسير عالقه بينهما ، قلقة مضطربة ، فيتسرب اليها الشذوذ ، وتكثر المتناقضات ، تارة تراها غارقة في عالم الحس ، وطوراً تلمحها ولهى على شواطىء الروح ، وهي تأبى التضحية باحد عالميها ، وتحاول جهدها الجمع بينهما ، فمن الظلم ان نحرمها احدهما ، ومن الجهل ان نصب عليها اللعنات او نرفع لها الصلوات ، فهي اقدس من ان يجدف عليها ، واضعف من ان يقتدى بها .

وان بلية الناس الكبرى لفي عجزهم عن صون عفافهم ، وما اندر ما عطفوا او احبوا ، ولم يكن للدم في ذاك نصيب !

الاب يوحنا قمير

من وحي الميلاد

لأنيس ادب

هذه رسالة كتبت الى صديق في باريس عام ١٩٣٧ في عيد الميلاد ، وكان معرض باريس وقتئذ مقاماً ، وقد عرض فيه رجل زجاجي وآخر ميكانيكي استرعيا اعجاب الزائرين ، وفي ذلك الوقت كان التوتر السياسي ينذر بالخطر ، فقام بعض دعاة السلم من الاميركيين يذكرون رجال الحكومات والدول بتعاليم السيد المسيح الداعية الى السلام ، فلم تلاق في الغرب دعوتهم اذناً ، ولم تفتح قلباً ، وفي الرسالة اشارة الى كل هذا .

في هذا الموسم من الاعياد ، والحياة العامة في زحمة ، والدنيا عندنا كعهدك بها من قبل ، تجدني كثير الحنين اليك ، واشد شوقاً من اي وقت مضى اثر سفرك .

ففي كل حفلة او ليلة ، احس كأن النصاب القانوني لم يكتمل ، وقد لا تخطر على بالي سريعاً ، فلا ادرك سر هذا النقص في جو المرح واللذة ، حتى تقفز الى الذاكرة فجأة ، وتلمع صورتك في المخيلة على حين غفلة ، فكأن النصاب قد اكتمل ، والدنيا حيث كان الفراغ قد امتلأت

فأجلس اليك في نفسي خلسة ، نتسامر بلغة اهل الجنة ، بينما الناس في عربدة ، قد « ضربنا قياسها » نحن يوم كنا . . .

فقل لي بربك كيف انت « في ام الدنيا » ؟

وحدثني عن الطفل يسوع ، صنع الجماعة . . . أهو اكثر شبهاً بالرجل الزجاجي ام بالرجل الحديدي ؟

وهل جماوه يتكلم وهو بعد في مهده ؟

سمعتُ بان بعض مريديه يرشحونه لجائزة نوبل « للسلام »

فلا يجد هذا الترشيح تأييداً ، ويتساءل بعضهم عن مؤهلاته ، وهو بعد في المهد . . .

ويقولون بتأجيل ترشيحه ، حتى يكبر ، ويُظهر معجزاته

وعندها ، قد يميلون الى تأييده . . .

غير اني قليل الثقة بفوزه ، فهو يموت بعد أشهر

وهكذا نجده دائماً ، يولد ويموت في سنة ، فلا يبقى من ايامه متسع للمعجزات

فالعصر ، كما تعلم ، عصر سرعة شديدة . . .

فرحم الله اياماً كان المجوس يزحفون فيها الى بيت لحم

وتباركت تلك الليلة ، فهي من ليالي الشرق ، يا أخي .

لن تلمع نجمتها في سماء غير سمائنا نحن . . .

ماساة شاعر

بقلم حسن الامين

★

مضى بنو عقيل يعذبونه أمر العذاب ، وراحوا يرهقونه امعن الارهاق . . . ومهما كان ذنبه اليهم فما كان ليصح لهم ان يمعنوا فيما امعنوا فيه من الاذى والتنكيل ، وسواء أكان الامر كما زعم زاعم من انه كان يزور نساء من بني عقيل فاخذه بنو عقيل (١) او كان كما زعم آخرون (٢) مما لا يمت الى هذا السبب بصلة فقد كان مثله يتوب بالزجر والتأنيب ، ولكن العقيليين غلوا بالانتقام واسرفوا في العقاب « فكشفوا سوأته وربطوه الى جمته وضربوه بالسياط وكتفوه ثم اقبلوا به وادبروا على النسوة اللاتي زعموا انه كان يتحدث اليهن على تلك الحال ليغيظوهن ويفضحوه عندهن » فصبر وسكن لعل حقدهم منطفىء وغيظهم غائر ولكنهم تمادوا في ذلك ، واوغلوا بالتعذيب فقال لهم : « يا قوم لا تفعلوا فان هذا الفعل مثلة وانا احلف لكم بما يثلج صدوركم الا ازور بيوتكم ابداً ولا ألجها » فلم يقبلوا منه . قال : « فان لم تفعلوا ذلك فحسبكم ما قد مضى ومنوا عليّ بالكف عني فاني اعده نعمة لكم ويداً لا اكفرها ابداً ، او فاقتلوني واريحوني فاكون رجلاً آذى قوماً في دارهم فقتلوه » فلم يفعلوا وجعلوا يكشفون سوأته بين ايدي النساء ويضربونه ويغرون به سفهاءهم حتى شفوا انفسهم منه ثم خلوا سبيله .

*

كان جعفر بن علبة بن ربيعة من بني الحارث فارساً مذكوراً وشاعراً غزلاً يفيض شعره برقة اللفظ وعذوبة المعنى ، ويتدفق بالعواطف الصادقة والشعور الحي وكان مجلى لسجاياه الشماء وما فيها من انفة وحمية وبسالة ، واذا كان لم يقع الينا الكثير من هذا الشعر فان ما وصلنا منه ليصوره لنا فتى من اكرم الفتيان واشجعهم وشاعراً من اعذب الشعراء واصدقهم وسيداً من اعز السادات وانبلهم . ولقد شاءت المقادير ان تسوقه الى ايدي العقيليين ان يتهموه به . وما يعنينا الان ان نصحح هذه الرواية او ننفيها ما دام العقيليون قد الصقوها به واتخذوها ذريعة لهوانه ووسيلة للغض منه ، وما داموا قد شفوا نفوسهم منه شفاء كان ابعد عن ان ينتمي الى الخلق العربي السمح المترفع ، وما داموا قد أغرقوا بالمثلة اغراقاً تأباه رجولة الرجال ، وتتحاماه كرامة الكرام ! . . . ولقد هزت محنة جعفر كل من عرف جعفراً ، واشجت رزيته الناس فتوجعوا له فقال اياس بن زيد :

ابا عارم كيف اغتررت ولم تكن … تغر اذا ما كان امر تحاذره
فلا صلح حتى يخفق السيف خفقة … بكف فتى جرت عليه جرائره

وها هو ابو عارم « ١ » الفارس المعدود يتلفت الى هؤلاء القوم ويتذكر ما صنعوا به فيأخذ من قومه اربعة يرصد بهم العقيليين حتى ظفر برجل ممن كان يصنع به ذلك فقبضوا عليه وفعلوا به شراً مما فعل بجعفر ثم اطلقوه فرجع الى الحي فأنذرهم . وحسب العقيليون انهم سيكونون فرسان الغارات وابطال الغزوات فبدر منهم سبعة عشر فارساً يتسابقون للقاء الخصوم الاربعة حتى لحقوا بهم بوادي سحبل ، وما كان اللقاء متكافئاً فها هنا سبعة عشر سيفاً حاقدة متوثبة يحدوها الى الفتك تراث اي تراث ، وها هنا في الصف الاخر اربعة سيوف هي الاخرى حاقدة متوثبة يحدوها الى الدفاع تراث اي تراث ! . . وابن الاربعة من السبعة عشر . ولكن ها هنا في هذا الصف القليل بسالة لا تحسب بالعدد وفروسية لا تقاس بالكمية . ها هنا ابو عارم الفارس الشاعر الموتور يقاتل العقيليين بأربعته فيقتل فيهم حتى لم يبق من السبعة عشر الا ثلاثة نفر انفذهم مع قتلاهم المشدودة على الجمال الى قومهم ليخبروهم كيف ينتقم

---

(١) الاغاني ومعجم البلدان ومعاهد التنصيص

(٢) التبريزي في شرح الحماسة

« ١ » ابو عارم كنيته وعارم ابنه

الرجال ...

وبعد ان اغمد جعفر سيفه جرد قلمه ، وبعد ان طوى شجاعته نشر شاعريته فقال يتحدث عن يوم سحبل :

وقالوا لنا ثنتان لا بد منهما   صدور رماح أشرعت او سلاسل
فقلنا لهم : تكلم اذاً بعد كرة   تغادر صرعى نوءها متخاذل
ولم ندر ان جضنا من الموت جيضة   كم العمر باق والمدى متطاول
اذا ما ابتدرنا مأزقاً فرجت لنا   بايماننا بيض جلتها الصياقل
لهم صدر سيفي يوم بطحاء سحبل   ولي منه ما ضمت عليه الانامل

ورأى العقيليون بعد يوم سحبل انهم اعجز من ان ينالوا من جعفر منالاً فلجأوا الى الحكام يستعدونهم عليه ، وقد كان يصح لهم انيفعلوا ذلك لو انهم لم يؤذوا جعفراً بايديهم ولو انهم لم ينصبوا انفسهم في الحادث الاول قضاة ومنفذين وقد كان يصح لهم ان يلجأوا الى السري بن عبدالله الهاشمي عامل مكة لابي جعفر المنصور من اول الامر ، اما بعد ان مثلوا بخصمهم لما كان وحيداً اعزل بينهم ، وبعد ان تفننوا بالمثلة والتعذيب وبعد ان تجاهلوا الحكام لما ان امكنتهم الغرة من جعفر ؛ اما بعد ان ارسلوا فرسانهم السبعة عشر فطاح بهم جعفر وبعد ان عجزوا عن ان ينتقموا اما بعدها فما كان يصح لهم استعداء امير مكة . . . واين كان امير مكة يوم مضوا يركضون الى وادي سحبل حاسبين انهم فاتكون بجعفر ، واخوان جعفر ، واين كان امير مكة يوم انفردوا بأبي عارم يضربونه بالسياط ويكشفون سوأته ويغرون به السفهاء ؟!

ما كان العقيليون كراماً في الحالين ولا كانوا رجالا في الموقفين ، ولا استطاعوا ان يخرجوا من مأزقهم الا بالجبن والهزيمة والحقد ، وقد شاؤوا ان يسيروا بالمأساة الى نهايتها وان يبوؤا منها بأحط الصفقتين ؛ فاستصرخوا السلطان فاصرخهم وقبض على علبة بن ربيعة والد جعفر واخذه بابنه ورفاقه ثم حبسه حتى دفعهم وسائر من كان معهم اليه . هذا ما يرويه الرواة ولكنني احسب ان جعفراً لم يكن بحاجة الى من يدفعه الى السلطان ولا كان ابوه بالذي يدفعه ولكن ما عرفناه من اخلاق جعفر يجعلنا ندرك لاول وهلة انه لم يكد يسمع بالقبض على ابيه وحبسه حتى اسرع بتسليم نفسه لانه ما كان بطيب له ان يفر وابوه مغلل في غيابة السجن . وبقي جعفر في حبسه يقول الشعر العاطفي الرقيق ، ويبعث من بين تلك الظلمات باناته قوافي وابياتاً خالدات حفظ لنا بعضها الرواة وانشدونا هذا الشعر الذي يتجلى فيه غرام الشاعر المستهام وصبر الفارس المستضام ، هذا الشعر الذي يتحدث فيه عن هواه المصعد مع الركب اليمانين وعن جثمانه الموثق بمكة فلا يستطيع اللحاق بالهوى الجنيب ، وهو بين ذاك الاصعاد وهذا الايثاق يتجلد فلا يجزع ويصبر فلا يضعف ، ويشتد فلا يهون ، الا ان يعتاده طيف الحبيبة ويلم به خيالها ثم يزايله ويتولى عنه فتكاد نفسه تزهق لا فرقاً من الموت ولا تخشعاً من السجن ولكن تعلقاً بالحبيبة الغالية المؤذنة بالرحيل ، وهو في ذلك لا يتعدى حاله يوم كان يلقى منها ما يلقى اذ هو مطلق السراح خلي البال :

هواي مع الركب اليمانين مصعد   جنيب وجثماني بمكة موثق
عجبت لمسراها وانى تخلصت   الي وباب السجن دوني مغلق
ألمت فحيت ثم قامت فودعت   فلما تولت كادت النفس تزهق
فلا تحسبني اني تخشعت بعدكم   لشيء ولا اني من الموت افرق
ولا ان نفسي يزدهيها وعيدهم   ولا انني بالمشي في القيد اخرق
ولكن عرتني من هواك صبابة   كما كنت القى منك اذ انا مطلق

وقد كان ابو جعفر وجعفر والناس جميعاً يعلمون النهاية المحتومة لجعفر وكانوا يعرفون المصير الموجع الذي سيصير اليه فكان ابوه — وهو شاعر ايضاً — ينظم في حال ابنه الشعر الابوي المتفجر حزناً وحرقة :

لعمرك ان الليل يا ام خالد   علي وان عللتني لطويل
احاذر انباء من القوم قد دنت   واوبة انقاض لهن دليل
لعمرك ان ابني غداة تقوده   عقيل لنائي الناصرين ذليل

ثم ان جعفراً اخبر بانه مقتول وما كان بحاجة لهذا الاخبار فقد كان ينتظره ويترقبه ، ولما عرف بدنو الساعة لم يشأ ان يترك الحياة دون ان يودعها بشعره الذي طالما تغنى به المتغنون ، وتناشده المتناشدون فاشاد في يومه الاغر في وادي سحبل وفخر بوقفته الباسلة في وجه العقيليين ونادى بانه لا يبالي الحمام بعد تلك الوقفة في ذلك اليوم ، ثم وصفها وصف المدل بها الحريص على مفاخرها ، وتحدث عن العقيليين وجبنهم وتخاذلهم وانتصاره بقلته على كثرتهم ، وتمدح برفاقه الحارثيين واراقتهم دماء الخصوم وشفاء غيظه : تحدث عن كل ذلك حديث الفروسية الوثابة التي لم يستطع ترقب الموت ان يثني من زهوها ويقلل من نخوتها ويضعف من كبريائها ، ووصف كل ذلك وصف الشاعرية الفياضة التي لم يستطع انتظار المنية ان يخمد من جذوتها ويطفيء من ثورتها ويكسر من سورتها فجاء الشعر قطعة فنية رائعة فيها الفخر الصادق العذب ، والاعتزاز الصحيح

الجميل ، والتصوير الدقيق الحي ، والقصص السلسل البـارع ، مسكوباً هذا كله في عاطفة مشبوبة بالأسى ، ناضحة بالحسرة ، فوارة بالوجد :

الا لا ابالي بعد يوم بسحبل ... اذا لم اعذب ان يجيء حماميا
تركت باعلى سحبل ومضيقه ... مراق دم لا يبرح الدهر ثاويا
شفيت به غيظي وحرب مواطني ... وكان شفاء آخر الدهر باقيا
ارادوا ليثنوني فقلت تجنبوا ... طريقي فمالي حاجة من ورائيا
فدى لبني عم اجابوا لدعوتي ... شفوا من بني القذعاء عمي وخاليا
كأن العقيليين يوم لقيتهم ... فراخ قطى لاقين صقراً يمانيا
تركناهم صرعى كأن ضجيجهم ... ضجيج دبارى النيب لاقت مداويا
اقول وقد أجلت من القوم عركة ... ليبك العقيليين من كان باكيا
شفيت غليلي من خشينة بعدما ... كسوت الهزيل المشرفي اليمانيا

ثم ينثني بعد هذه الحماسة المتسامية الى الواقع المر والحقيقة الموجعة فيرى هذه الشمائل المستملحة تدنو من الفناء حثيثاً ، وهذا الشباب الزاهي يمشي الى الذبول سريعاً وهذه البطولة الضاجة تصير الى القبر عما قليل فما يستطيع الا ان يذرف دمعة الاباء المضطهد وعبرة الانفة المهتضمة ، ثم يتذكر صحارى نجد ورياحها الذواري وما كان له من مغدى ومراح ، ويتذكر مدارج صباه وملاعب هواه في الرمل المعالي بين شم العرانين من عامر ، وان كل ذلك قد عاد ذكرى من الذكريات ستنمحي عما يسير ، وانه لن يرى بعد اليوم لا الصحارى ولا النسائم ولا الفتيات ، فلا يستطيع الان يشجى ولكن لا شجى المتضرع الواهي ، ولا المتخاذل الواجي ، بل شجى الكريم في الدهر اللئيم :

أحقاً عباد الله ان لست ناظراً ... صحاري نجد والرياح الذواريا
ولا زائراً شم العرانين تنتمي ... الى عامر يحللن رملا معاليـا

والحارثيات : اولئك اللواتي ربينه صغيراً وحدبن عليه يافعاً ، واحببنه شاباً ، أينساهن وقد حان الحين ؟ ... انه ليريد ان ينعى اليهن وان يخبرن بأنهن لن يلقين بعد اليوم فتاهن الحارثي ! .

اذا ما اتيت الحارثيات فانعني ... لهن وخبرهن ان لا تلاقيـا

وكيف ستستقبل الحارثيات نعي الفتى المرموق ؟ .

وقود قلوصي بينهن فاصـاً ... ستبرد اكباداً وتبكي بواكيا

اما الوصية الوحيدة التي شاء ان يختتم بها قصيدته فقد تجمعت فيها عاطفة الشاعر الفارس بكل ما فيها من حنان وشجن ورجولة ، فان امرأ واحداً كان يشغل باله ويهيج كروبه ، ويذكي اشجانه ، وان انساناً واحداً كان في تلك اللحظات موضع تفكيره ومجال احزانه ومصدر أساه ! ..

أين عـارم الآن ؟ .. أين الولد الحبيب ؟ ... اين تلك الطلعة التي تعلقت بها آماله واشرقت لاشراقها أمانيه ؟ .. انه ليمضي وعارم وتربية عارم ومستقبل عارم شغله الشاغل :

اوصيكم ان مت يوماً بعارم ... ليغني شيئاً او يسد مكانيا

*

ولما اخرج جعفر للقود قال له غلام من قومه : اسقيك شربة من ماء بارد ، فقال له اسكت لا ام لك ! .. اني اذاً لمهياف(١) وانقطع شسع نعله ، فوقف فأصلحه ، فقال له رجل : اما يشغلك عن هذا ما انت فيه ؟ ! فقال :

أشد قبـال نعلي ان يراني ... عدوي للحوادث مستكينا

ثم ضربت عنقه ...

ولما قتل قام نساء الحي يبكين عليه ، وقام ابوه الى كل ناقة وشاة فنحر اولادها وألقاها بين يديها ، وقال : ابكين معنا على جعفر ، فما زالت النوق تثغو ، والنسـاء يصحن ويبكين ، وهو يبكي معهن فما رئي يوم كان اوجع ، ولا مأتما كان اكثر حزنا في العرب من يومئذ .

نزيل بغداد ... حسن الامين

(١) مهياف : لا يصبر على العطش .



فن القصص

للاستاذ محمود تيمور بك – ١٣٦ صفحة – عدد خاص من مجلة الشرق الجديد

خدمات جليلة – ولا ريب – يسديها للغة العربية صديقنا الكبير الاستاذ محمود تيمور بك بما يصدره من اقاصيص وروايات جعلت منه حجة في هذا اللون من الادب يتصدّر مدرسة لها مقلّدون ونُهّاج، وحدا هذا بالاستاذ الصديق نزيه الحكيم ان يطلق عليه لقب « رائد القصة العربية ».

ولما كان فن القصص أحدث ما عرفه الادب العربيّ، لان العرب الاقدمين لم يعنوا بهذا الضرب من الكتابة عنايتهم بالشعر مثلًا وذلك لدواع شتى، رأى تيمور ان يضع مصنفًا يضمنه ما غنمه من خبرة أربت طولا على عشرين حولا في كتابة القصة، واطلاع نيف على ذلك بكثير، وآراء تجملت بالحكمة والحنكة وزانتها الدربة. وكان نتاج جهده كتاب « فن القصص » الذي نهضت بنشره دار الشرق الجديد بالقاهرة.

ونظرة الى مشتمل الكتاب، تريك اي افق رحيب من الموضوع تناول المؤلف، واي المام شامل احاط به. فقد قدم للكتاب بتصدير تبسط فيه في بحث قضية اللغة العربية ارادة ان يتدبر ما يراه لتيسير ولوجها لقرائها والكاتبين بها على حد سواء. وانتقل الى الحديث عن فن القصص فوفاه حقه بادئًا بتعريف الفن والقصص وسرد انواعها والتفرقة بينها، ومنتهيا بالتحدث عن مستقبل القصص في الادب العربي. وذيل الكتاب بنماذج حية: ثلاثة من قصصه تمثل كل منها لونا خاصًا من الوان الادب القصصي.

والاستاذ تيمور بك في سرده المفصل لتلك الموضوعات، يرسل الطرف الى الماضي الغابر فيتحدث عن قصص العرب، ثم يتلفت حواليه فلا يسعه الا ان يتناول القصص المصري الحديث فيمتدحه ويثني على رواده ثناء عطرًا، ثم ينظر من بين سدل الغيب الى المستقبل نظرة مشارفة وتتسع حدقتا عينيه فيرى ما قد يعده البعض امعانًا في المغالاة وترتسم على شفتيه ابتسامة المؤمل المتفائل الذي يقول ان ادب الفترة التي تعقب الحرب العالمية الثانية سيكون ثورة تجديدية عارمة، وهو بما يقول مؤمن شديد الايمان.

ويصل المؤلف بين القصص ومشكلات المجتمع، فهو يقول ان القاص يتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه، فيترجم هذا التأثير في عمل قصصي. والقاص الموهوب بحسه المرهف ويقظته الحادة في الشعور بأدق الخلجات التي تسري في المجتمع قادر على ان يقتنص الخفي العميق الكامن في واعية الجمهور فلا يلبث ان يعبر عنه ويحيله مادة مكتوبة.

وليس للاديب الحدث الا ان يستزيد المؤلف من امثال هذه المباحث التوجيهية الصائبة لانها الزاد الذي يتزود به في تعاطي الكتابة ومراس الادب.

القاهرة — وديع فلسطين

فيصل بن الحسين

٣٢٤ صفحة – اصدرته مديرية الدعاية العامة في العراق

سفر ثمين يؤرخ رسول النهضة العربية في العصر الحديث، الملك فيصل الاول، ويسجل مبادئه وتعاليمه التي بشر بها في خطبه واقواله في خلال ثلاثين سنة قضاها في الكفاح والسعي لنهضة الامة العربية وتحررها واستقلالها ويتناول هذا الكتاب حياته منذ مولده، فطفولته وجهاده في سوريا والعراق، وانشاءه دولة العراق الحديثة واثره في حياة العراق ونهضته، وسعيه في حقل الوحدة العربية وجهاده عن فلسطين وعظمته الشخصية.

ثم ينتهي بثبت ضاف عن خطبه واقواله في شتى مناسبات حياته، او الاحداث التي اجتازتها الامة العربية.

وهذا الكتاب خدمة كبرى تقدمها مديرية الدعاية العامة بالعراق الى الباحثين في النهضة العربية الحديثة، اذ يرون فيه سجلًا وافيًا عن خالق هذه النهضة واقواله التي لم يتح لها ان تجتمع في سفر واحد حتى الان.

البيادر

للاستاذ ميخائيل نعيمه – ٢١٦ صفحة – مطبعة دار المعارف بمصر

مجموعة خطب اذاعها في مسمع الناس مرة ، وهو يذيعها فيهم مرة اخرى على شكل من التجسد في الحرف ، اكثر رسوخاً . فقد هتف بها صوتاً اجتمع فيه فكر وقلب ، ليستوي مخلوقاً ينبض فيه حس من فكر وقلب .

هذا الفكر الذي كان هينمة روح كلية علياء جازت المدى الى الحرف الى الصوت ذي المقاطع ، الذي كان لها زماناً فتجزأت . ثم جازت مدى الحرف الى الخط الذي كان لها مكاناً ، فزادت في معنى التجزؤ . على انها وهي مشدودة بالزمان والمكان – بظل لها نطقها ، فلا تلبث ان تجوز مدى الحس ايضاً ، لتستقر في معنى الناس في ذلك الكل ، هينمة روح كلية شاملة . . فالمسافة الواقعة بين الكاتب والقارىء ، هي بعينها المسافة القائمة بين الحقيقة وبين الصورة ، بين ما فوق وبين ما تحت .

وهذا التراوح من الانبثاق الكلي في الخناءات الانفصال المغمور بالظلال ، الى الاتساق الكلي في النهاية الخالدة ، يرينا وحدة وجود في الحقيقة غير العارضة .

واعتقاد هذه الوحدة في مذهب هذا التراوح ، هو معنى الفكرة في كل مقامات هذا الكتاب . . والمؤلف خلال احاديثه يبين كيف تتحطم « الخناءات الانفصال » ، وهي لا بد متحطمة في مرحلة من مراحل التخلق او الانفطار المكتمل . ولكن مرحلة هذا الانفطار انما يتم وبتعبير ادق انما عهد اليه :

بعمل في الفرد ، خذه في « في العاصفة » ص ٧ – ١٥ وفي « رغوة وصفوة » ص ٥٦ – ٦٠ .

وعمل في الجماعة ، خذه في « المذاهب والمتمذهبون » ص١٦ – ٢٣ وفي « هدية الهم » ص ٨٥ – ٩٢ .

وعمل في القيم التي لم تزل متعفن الظلال خذه في « من ظالمك؟» ص٤٦ – ٥٥ وفي « هل افلس الدين ؟ » ص ١٠٠ – ١٠٥ .

وعمل في الفكر او الفن الذي لم يزل متبدلاً في التجديد ، خذه في « الفن الاكبر » ص٦١ – ٧٠ . – ثم تراه يبلغ القمة في «التوأمان الشرق والغرب» ص ١٢٠ – ١٥٠ ، فكان في بحثه – فوق كونه مبصراً – بصيراً – حتى لكأن الشرق عبر عن حقيقته المبدعة ، بلسان المؤلف خير تعبير .

ويلفتني في اغراء واعجاب ، ادلاله بمعنوية الشرق ادلالاً فيه شخصية مجتمعة ، شخصية تظاهرت فيها الوان القوة ، فما اخذها الغرب بل اخذت عليه .

ولو ذهبنا نعرض لكل جوانب الاحسان فيه ، لاقتضانا بحثاً شاملاً ، ولكننا اكتفينا عنه بالاشارة الملمة .

وان كنا نأخذ عليه من شيء ، فتلك الآراء من الصوفية الهندية التي برزت ولاسيما في « المذاهب والمتمذهبون » بشكل اتكالية منحلة مربضة . . وفي فصل « البيادر » حكاية تقمصات وحكاية القدر في الغربلة ، وفيه تناقض واضح . . وفي فصل « مناجاة » زرادشتية مغلوطة . . وفي « القصر والمعمل » حكاية هداية المدنية الآلية المخربة ، وانفطارها انفطاراً جديداً . غير انها تمت على شكل غير طبيعي مع الاساس النظري او الاعتقادي الذي التزمه .

والكتاب جاء في اساليبه قوي الحبكة ، مطاوع الاداء ، بارع التصوير والتمثيل ، لولا بعض هنات كان جديراً ان لا تلابسه .

في ص٧ سموات صافية زرقاً ، والاصح إما الافراد في الصفات واما الجمع وأما ان التاء تدل على الجمع ، فليست في مثل هذا التركيب .

في ص ٣٩ فانصاع ، فان انصاع بمعنى اذعن لا تصرف .

في ص ٩٠ يتوجب ، ان صيغة تفعل من وجب عامية .

في ص ٨٧ لا اعرف الراحة لا في الليل ، اثبات لا الثانية بعد النفي يفيد عكس المعنى المقصود ، فان نفي النفي اثبات كما هو معروف .

في ص١٤٣ السفاسف ، وهو لا تعرفه العربية وانما هو السفساف

في ١٤٣ جوحة ، والصواب جوح بدون التاء حتماً في معنى الفاعل كما هو الاصل النحوي .

وعلى اي حال فالكتاب ينزل منزلة فريدة ، بين اكثر ما تطالع به المطابع العربية اليوم .

عبدالله العلايلي

الغرر التاريخية في الاسرة اليازجية

للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف – الجزء الثاني – ١٤٧ صفحة

تكلمنا في جزء سابق عن الجزء الاول من هذا الكتاب ، وقد تناول فيه مؤلفه تاريخ المشايخ اليازجيين . وقد صدر اخيراً الجزء الثاني منه وهو يتحدث فيه عن تاريخ أصهار اليازجيين وبناتهم واسباطهم .

ومن يتاح له ان يطلع على هذا الكتاب يدرك مدى الجهد الذي اضطلع به العلامة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف حتى استطاع ان يلم شتات آثار هذه الاسرة ، فهو بعد ان يفصل عن تاريخ اصهار اليازجيين في لبنان من اسرة الشيخ عبدالله اليازجي وولده الشيخ ناصيف . اما الشيخ راجي فلا اصهار له . فاولهم صهر الشيخ عبدالله من بني الدقي وبعده بقية اصهار الشيخ ناصيف مرتبة بحسب ولادات زوجاتهم .

ولا يكتفي المؤلف بسرد تاريخ حياة من يترجم لهم ، بل يتتبع آثارهم الشعرية والنثرية ، ومراسلاتهم فيثبتها ويشرح مناسباتها .

وهذا الجزء مثل الجزء الاول ، اقتطفه المؤلف من كتابه « المطول في تاريخ المشايخ اليازجيين » الذي لا يزال مخطوطاً .

من طرائف العلماء

للاستاذ علي رشيد شمث – ٩٨ صفحة – المكتبة العصرية – يافا

تركزت في روح العلم ألوان نبيلة من الفضائل ، فالصبر والصدق والصراحة والانصاف ، والتضحية في سبيل المجموع ، والشجاعة الادبية ، والاعتزاز بالرأي ، والانسانية السمحة ، كلها صفات نستطيع ان نجد لها امثلة مادية واقعية رائعة في قصص العلماء وتاريخ جهادهم ، والطرائف التي يتبعونها في حل مشاكلهم ، والسير في ذلك على هدى مثلهم العليا . .

وهذه الالوان النبيلة من الفضائل يحس بها القارىء احساساً قوياً كلما اوغل في قراءة هذا الكتاب ، الذي يروي له جهاد كبار العلماء الذين انتجتهم الانسانية ، ارخميدس في اخلاصه لوطنه وأمانته لعلمه ، وجابر بن حيان في كرم خلقه وشدة تواضعه وجلده على التأليف ، والحسن بن الهيثم شيخ علوم الطبيعة في القرون الوسطى في احتماله آلام القيد والسجن ، وفقره وعدمه ، وأسحق نيوتن في صبره المضني وذهوله الغريب ، وباستور الذي أجهده الكفاح فسقط فريسة مرض طويل اعقبه شلل .

ان هذه الاخلاق في هؤلاء العباقرة ، وهذه الالوان من العناء يصادفونها في شتى مراحل حياتهم ، هي نفسها التي فتحت امام عيونهم نوافذ العبقرية فقدموا للانسانية خدمات دفعتها الى الامام والرقي خطوات واسعة .

ولم ينس المؤلف ان يضمن قصص هؤلاء العلماء بعض ما ألفوه من كتب وما انتجوه من آثر ، فجاء الكتاب علماً في قالب قصة وقد ضاع جفاف العلم في طرافة العرض وجمال الاسلوب .

الاب

ترجمة الاستاذ وديع فلسطين – ٨٥ صفحة – لجنة النشر للجامعيين – القاهرة

« الاب » مسرحية في ثلاثة فصول للكاتب السويدي اوجست سترندبرج ، وهي تتناول قصة ضابط متزوج عصبي المزاج يعيش في جو زاخر من « الوسواس » الفكري الشديد وفي حالة زوجية لا تطاق ، وقد انتهى وسواسه الى الشك في ان تكون ابنته ، ابنته حقاً ، اي ناتجة من علاقته بزوجته لا علاقة هذه بغيره . . وقد اتهم الضابط ، من قبل جميع الذين حوله ، بالجنون حين كان يبرز شكه هذا ، وبات هو نفسه يعتقد انه مجنون ، ولكن ذلك لم يمنعه من الاصرار على ان هذه التي يدعوها ابنته ليست كذلك ، وكان دأب الزوجة ان تنكر هذا الامر انكاراً شديداً ، ولم تعترف بصحته الا بعد موت زوجها الضابط .

والمسرحية تنطوي على لفتات فكرية رفيعة تجري على لسان الضابط المتهم بالجنون ! . . . وقد وفق الاستاذ فلسطين الى ترجمتها بلغة واضحة تكاد تكون سليمة لو لا بعض هنات يسيرة . كقوله : « ولم تلبث الحال على ما هي عليه ، فاوغل الزمان . الخ » وهو يقصد « ولبثت الحال على . . » وكقوله « ولم يوقف جهده » وصحتها « ولم يقف جهده » وكقول الضابط مراجعاً الحساب : « اربعة وثلاثين » « ثلاثة واربعين » وصحتها ان ترد في حال الرفع ، ما دام لم يسبقها ما ينصبها الخ . . .

س ١٠

الليتورجيا الالهية
او ترانيم الخورس في القداس البيزنطي

للاب يوسف نخله – ٢٦٠ صفحة – مطبعة دير المخلص – صيدا

خدمة للموسيقى ، ولهواة الترنيم الكنسي البيزنطي ، يقدم حضرة الاب الفاضل يوسف نخلة ، الراهب الباسيلي المخلصي ، كتاب « الليتورجيا الالهية » او « ترانيم الخورس في القداس البيزنطي » .

يحوي الكتاب خيرة الترانيم الكنسية من كل ما هو ضروري للقداس البيزنطي فتجد اولاً الاجوبة على الطلبات السلامية ، « بوليفونيا » باللحنين الثامن والخامس . ثم الانديفونات والتريساغيون وما اليه ، ثم ما قبل وما بعد الرسائل والاناجيل ، وكلها متعددة اللحن ، متنوعة النغمات ، ثم تنظر الشيروبيكونات فالاناڤورات المختلفة على الالحن الثانية ، طويلة للحفلات ، فقصيرة اعتيادية .

ثم تمر على بحر من ترنيمة «اكسيون استين» اي « بواجب الاستحقاق » باليونانية والعربية ، موزعة على الالحن بين طويلة فاقصر فمقتضبة . ثم ترانيم ما قبل وما بعد التناول ، وبينها الكينونيكونات الهامة على كل الالحن للآحاد اولاً ثم لعيد الفصح ، واعياد الام البتول ، والملائكة والقديسين . واخيراً تختم الكتاب ، كملحق صغير ، بعض القطع الضرورية كالدعاء للسلطات الكنسية ، وغيرها للسيامة الكهنوتية . واخيراً كل الترانيم اللازمة لخدمة قداس البرويجيازماني

وكل هذه المجموعة مستقاة من مصادر مختلفة تربو على العشرين ، لائمة الفن والغناء من قدماء وعصريين في الكنيسة البيزنطية مما يدل على تعمق الاب المحترم وتضلعه من فن الموسيقى ورغبته في التدقيق والمقارنة . فمن هذه المصادر ينتقي حضرة الاب نخلة الترانيم الشاملة ، مؤثراً حيناً افخمها واروعها واشجاها ، وحيناً الطفهـا واحلاها واعمق وقعها في النفوس ، بحيث ان من يسمعها يجد فيها صدى خاصاً باصوات قلبه .

ولا يكتفي الاب الفاضل بالجمع البسيط ، بل يتخطاه احياناً الى تعديلات صوابية ، كبيرة احياناً ، وغالباً صغيرة وطفيفة ، يوفق فيها عموماً توفيقاً باهراً ، وهكذا تتناسق النغمة والعاطفة ، فتجريان وصوت المرنم بلا عناء ولا تعب .

ولم ينس حضرة الاب فراغ كنائسنا من الترانيم العربية الكنسية ، فانبرى يملأ هذا العوز بترانيم اما يقتطفها من المرغبين المعاصرين الملكيين كالمطران جرمانوس شحاده والاب كيرلس الحداد ، او يخرج اكثرها هو نفسه في قالب يتفق والنبرة العربية ، ووضوح الحركات ، واستساغة النغم .

وكنا نود لو نلمس ايضاً حظاً اوفر للترنيم العربي الجوقي في بعض القطع التي لم نعتد سماعها الا باليونانية ، مثل « كيريا اليسون » والجوابات السؤالية : « استجب يا رب » والشيروبيكون » وان البرايا باسرها » . . . ولكن عسى ان تظهر الطبعة الجديدة المختصرة ، التي يعدنا بها حضرة الاب المؤلف ، لقداس كامل بالعربية واليونانية ، على النوتة الاوروبية باللحنين الماجور والمينور فتملأ هذه الرغبة الصغيرة المتضائلة امام الرغبات والمنى المتحققة في نشر هذا الكتاب .

ا . غطاس

وجه الشباب

للاستاذ نوال عمادي – ٨١ صفحة – طرابلس

السيد نوال عمادي من شباب الفيحاء الذين يتعشقون الادب ويندفعون في سبيله ، وقد اخرج حديثاً باكورة كتبه «وجه الشباب» وهو كتيب يجري مجرى القصص ويعالج فكرة الحب والسمو به لئلا يتردى الشباب في هوة سحيقة فيبتذلون العاطفة وينحدرون بالحب الى دركات الاجرام .

قلت ان السيد عمادي شاب مندفع ، والقارئ اذ يحمد له هذا الاندفاع والشغف ، لا بد له ان يلاحظ ان نفس هاتين الميزتين قد اخرجتا الكتاب على صورة تحتاج الى كثير من الاصلاح والتقويم ، في اللغة والفكرة والاسلوب . ولعل في سن المؤلف مبرراً لهذا الضعف ، ومبشراً عن مستقبل طيب .

جولة الأديب في شهر

عام جديد

● بقلم الدكتور طه حسين

سيقول بعضهم انني اقحم نفسي في الموضوع اقحاماً ، وسيقول اخرون ان رأيي في العام الجديد رأي مردود ، وعجيب حقاً ان يتصدوا للحكم قبل قراءة ما اكتب .

واني لاشفق على الناس اشد الاشفاق من عامهم الجديد او عامهم السعيد او عامهم الوليد . . . هم يرقبون لحاضرهم نهاية وانا ارقب لمستقبلهم بداية ، وشتان في منطق التاريخ بين عاكف على نهاية ومترقب لبداية . . .

واذكر ان صاحبي استمتع بمحاضرة للاديب الفرنسي الكبير فيريو ، وكان ذلك عند نهاية الحرب الماضية . . . واقد تحدث الاستاذ فاجاد في الحديث وتبسط واسرف في التبسط وحلق ولكنه لم يكتف بالتحليق بل عاد بسامعيه الى واقع يعانون همومه وزمان يستسيغون همومه . . . واشهد ان صاحبي خرج مكدود الذهن ملتاع الاسى ، فلقد اثرت فيه تلك المحاضرة عن العام الجديد تأثيراً جديدا .

لم يكن قوله جداً كله ولم يكن قوله هزلاً كله بل كان بين بين .

« وقى الله مصر والشرق بل الشرق ومصر من ويلات العام الجديد . » بهذه الكلمة انهى المحاضر آيته الرائعة لان سامعيه كانوا يومئذ من المصريين . . .

عام جديد

● بقلم أمين نخله

من مذكرات فؤاد بك الى امين افندي

اورق اللبلاب الاخضر . . . فيا لبهجة جبل « الاهبل » عندنا في الباروك ! . .

وطفرت ينابيع الماء . . . وخطرت الفلاحات بالجرار الحمراء . . . وتلألأت الشموع في كنيسة القرية . . .

والعام — لو علمت — ربيع يقبل بالافياء ، وبوردة اوسكار وايلد . . . وبخصل من شعر «ميراي» فاين مسترال . . . يغني مع الصبايا في هذه العشية ! .

ويا اسفاً على العام القديم في الاعوام . . . كانت له — يرحمه الله — الف سجية ! . . .

فيه قال بلبل البيت سعيد اول كلمة . . .

فخبأته في الضلوع . . خوفاً عليه من كيد ذات العينين . . .

واليوم . . . والارض عندنا في النقلة من عام الى عام . . . يمتد رواق من الود من بيت الى بيت في جبل اللبنانيين . .

ويقبل غداً صاحبنا الربيع يسحب المطرف الاخضر . . . على مقالب الجبل . . . فيهش التراب للحبيب . . . ويخضل مطرح الوطء الخفيض عند نهايات الكروم . . .

ولليل عندنا في الشتاء عرس يضج بالثلوج والعواصف . . يتلاقى فيه الفلاحون حول المواقد . . . وتتحدث العيون وتندى تباريح الهوى الريفي . . . فالحب عندنا في الجبل غيره في المدينة .

وكل هذا من اجل عام يجيء . . .

على طريقة هؤلاء . . .

بقلم صلاح الاسير

عام جديد

● بقلم عبدالله العلايلي

العام صفحة من كتاب الحياة ، والحياة ارادة وارادة فقط ! . .

وما دامت الحياة ارادة فهي ترتكز على الشعور . . . شعور مؤمن بالقدرة على الكفاح في سبيل المثل الاعلى . . .

اما اولئك الذين يلتاث عليهم الامر ويخبطون خبط عشواء . . فهؤلاء لا تبهرهم الحياة بالايمان الباني بل تغرقهم في ظلمات الفناء . . فكأنهم لم يكونوا ابداً . . .

ان العام الجديد — ايها المتربصون — ميدان رحب للعمل على تدعيم كياننا القومي اي كياننا كأمة ارادت ان تحيا وسيكون لها ما تريد . . .

اما دعاة الهزيمة اي ضعاف النفوس الذين ضاعوا عنا في تيارات المستعمر بين عطفه وذهبه فالامة تنبذهم نبذ النواة فهؤلاء ليسوا منها وهي ليست منهم ... فليرتدوا الى اسيادهم وليعفروا الجباه على الاعتاب... ان الجباه التي علاها تراب الخزي لا ترتفع ابدا . في منطق الزمن، لا حياة بدون ارادة، ولا ارادة بدون حياة .

اما الذين لا يريدون .. اي لا ارادة لهم .. فسيكون مكانهم مساقط العام الجديد ..

عام جديد

● بقلم البير اديب

اما وقد اقبل العام الجديد
يحمل على منكبيه اللحف البيضاء
التي تلمع في الدجنة في صدر هذا الكون الحائر
فله مني النظرة الساذجة ولي منه ابتسامة الامل .
فلنبتسم في وجه هذا الطفل ونحن بعد على اعتاب هيكله
هذا الهيكل المظلم الذي يحضن المجهول
هيكل العام الطفل
نبني عليه اكواخ احلامنا
قبل ان تذهب به الزوبعة .
زوبعة مرعبة... تواكبها الاشباح ...
ويجثم على صدرها الليل
ويعانق سكون المنتظر
حركة الارواح ..

*

نمت في الامس ...
فلما افقت ...
لم يكن الهيكل ولم تكن الاشباح ...
واختلجت صرخة الجنية البيضاء ...
فاذا على شفتي صلاة ..
واسود الافق الازرق .
واسدل الستار على عام انقضى ...
ورأيت هودج العام الطفل ...
هودج سحري صيغ من دماء قلوبنا
ومن نسيج اوهامنا
بينما كانت اصابع الشتاء ...
تدغدغ بشائر الربيع الاخضر ...
وكان العام الطفل ...
يرى يومه الاول .

عام جديد

● بقلم الدكتور بشر فارس

لا يقبل الاديب المتبصر على العام الجديد اقبال العوام من الناس عليه ، لانه في تبصره مرهف الحس بعيد البصيرة ، يسترفد اعماق الاشياء اكثر مما يعنى بما ظهر منها وبرز .

والاديب وحده يستطيع بنفاذ اصابع الفكر ان يغوص الى اغوار العام الجديد ، فيصقلها صقل الصناع الماهر ، والموهوب الحاذق ! .

والعام الجديد صفحة من كتاب الزمن ، فيه سطور تخفى على غير اللبيب ، وهي ليست احجية صعبة المنال ، ولكن منالها وقف على رهافة الحس ولباقة التدبر .

ولقد عرضت لي شؤون واثارت بي شجوناً طلعة العام الجديد ، والشرق نائم يغط في عسس مقفر .. والغرب يقظان مفتوح الباصرة .. والقارىء العربي ينهل من الماء الاسن ولا يقبل على الزلال منه ، بينما القارىء في الغرب يقبل على السمين الدسم دون الهزيل الهازل .

فبأي طرفة نطالع العالم في العام الجديد ، وليس بين ثمرات المطابع طرفة تستحق الذكر بله الاشارة ! .

فعلى الكاتب ان يتدبر الامر قبل الكتابة ، وان تكون اداته اخلاصاً وكدحاً ، وليعكف قليلا على همه وامله ، فتنسرح امامه سبل التعبير والتصوير ، وانا من القائلين بترفع الفن ، ترفعه في ذاته لا ترفعه عن الجماهير .

فليسمع من له اذنان .. وليتبصر .

عام جديد

● بقلم الدكتور زكي مبارك

من العيون الدعج على جسر الرصافة الى العيون السود في اصائل سنتريس .. سلام .. وكلام ..

من قلبي الذي لم يرض في يوم من الايام ، الى ليلاي الصحيحة في العراق .. سلام وكلام .

من قلبي وقد جعلته عبداً للهوى والجمال ، الى شقراوات باريس سلام .. وكلام ..

من العام الجديد الذي استعليه بمصاولة وزير المعارف .. الى العام القديم الذي قضيته بمقارعة الخصوم .. سلام .. و كلام ..

بخمسة ارقام تدار اراكم وترأوني اهون بذلك من جهد

اليها وهي في رياض الزمالك من العاشق المشتاق .. سلام وكلام .

الى خصومي وهم حقراء .. وترفعهم خصومتي الى السماء .. سلام وكلام ..

الى الحبيب الغادر .. الذي ارقني هيامي به في مصر الجديدة .. سلام وكلام

الى التي اودعتها قلبي في بغداد ، في مثل هذا اليوم منذ ثلاثة اعوام .. سلام .. مستهام .

الى الاقزام الذين لا يصبرون على مقارعتي .. انتظروا .. واعتبروا .

الى الصديق الخائن ، وقد اوقفت عليه قلبي ودمي .. عام جديد يمحوه من سجلات الايام .

الى الخلود الذي اختطفني دون العالمين .. عهود وعهود .

الى مصر التي تعق الادباء والعلماء .. ووالله لاجعلن منك يا مصر جنة الادباء والعلماء .

الى العام الجديد ! ..

جهاد جديد ! ..

وقلم سديد ! ..

الى ضفادع الادب الذين يدفعون بي الى الخصومة .. عام انهاء وافناء .

سلام على ليلى .. سلام على الخصوم : .. سلام على العام الجديد .

عام جديد

• بقلم الاستاذ معروف الارناؤط

كان القمر ساهماً سادراً ، يتنقل على المراعي الخصيبة في ايام اذار ، حين تولاني شعور هادر بان سنة ١٩٤٦ ستكون سنة غامرة الخير مشرقة الحواشي ، تستريح فيها الانسانية من شرور عدت على نواحيها وكادت تقضي على البقية الباقية من اسارير الشرف في وجه الارض ! .

كنا ثلاثة نتنادر ، ويتقلب الحديث على ايام الصبا الاولى ، فتشرق النفوس بالحنين الصادق والوجد الملح ، ايام كانت قصة « سيد قريش » جنيناً في بطون الايام ، وكانت امالنا معلقة بحفيد النبي يوم اطلق الرصاصة الاولى في جو مكة الصاخب ، الهادي ، فاستفاقت الجزيرة ، واخذتها عزة من هاشم ، وافتر الهزيع في ليالي الصحراء ، ولكن الامل تحطم ولم يبلغ عمر الورد في الرياض والبساتين ! ..

وفي رأد الضحى كان جهادنا جهاد النفس الراضية المطمئنة ، لا يرقى اليك الشك ، ولا يتهافت عليه الغرور .

واليوم ، والدنيا على وصيد العام الذي انتظرناه منذ شهر اذار الضاحي ، نقبل عليه ، ونحن بين غصة الامس وبسمة الغد ، اشوق ما نكون الى سلم غامر ، يضفي على العرب ابراد العز والرفاه .

وكأي من رجل في هذه الحياة الدنيا لم يلتفت الى عامه ، فهو محسوب عليه ، رغم غفوته الناغرة .. يمور بالاطياف ! .

فالدهر يقظان ضحيان كالعهد به يوم اصدرت « سيد قريش »

طبق الاصل **صلاح الاسير**



٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٥ – اطلق سراح زعماء فلسطين المعتقلين في جنوب روديسيا وهم جمال الحسيني وكمال الحداد وامين رويحه .

٣٠ – اصبحت يوغوسلافيا جمهورية وخلع بطرس الثاني عن عرشها .

٢ كانون الاول – قرر مجلس الجامعة العربية ان تقاطع جميع الدول العربية المنتوجات الصهيونية .

٤ – رفضت الحكومة الروسية طلب الحكومة الاميركية بشأن انسحاب جميع قوات الحلفاء من ايران .

٦ – نشرت اليوم جامعة الدول العربية في جميع عواصم العرب ردها على بيان بيفن وزير خارجية بريطانيا بشأن فلسطين، ورفضت فيه قبول أية هجرة جديدة الى فلسطين

القيت قنبلة على سيارة النحاس عندما كان ذاهباً لالقاء خطبته بمناسبة رأس السنة الهجرية ولم يصب النحاس باشا بأذى .

١٠ – زار سمو سيف الاسلام عبد الله نجل امام اليمن سورية ولبنان بعد زيارته للعراق .

١١ – احتجت روسيا على المظاهرات التي جرت في استنبول واعتبرتها معادية لها .

١٢ – ردت اللجنة العربية العليا بفلسطين على بيان المستر بيفن ووصفت بيانه بأنه نكول عن السياسة التي اقرتها الحكومة البريطانية سابقاً .

١٤ – عقد اتفاق بين فرنسا وبريطانيا حول قضايا سورية ولبنان وسائر الشرق الادنى . وقد قررتا ان تعقدا في بيروت اجتماعاً عسكرياً في ٢٦ ك ١ يبحث فيه تفاصيل الجلاء .

١٥ – اعدم كرام مدير معتقل بلسن الالماني .

١٦ – قوبل الاتفاق الفرنسي البريطاني بشأن سورية ولبنان بموجة من الاستنكار من المنظمات الوطنية والرأي العام اللبناني والسوري

١٧ – بدأ في موسكو مؤتمر وزراء خارجية اميركا وبريطانيا وروسيا وقد حضره عن المستر بيفن وزير خارجية بريطانيا والمستر بيرنز وزير خارجية الولايات المتحدة والرفيق مولوتوف مفوض الخارجية الروسية ، وقد حضره كثير من الخبراء من الدول الكبرى الثلاث .

١٨ – تألفت الحكومة الجديدة في آذربيجان بعد ان اعلنت انفصالها عن ايران .

وقد اعلنت الحكومة الايرانية احتجاجها على تأليفها واتهمت روسيا بمساعدتها لهذه الحكومة الانفصالية .

١٩ – توفي الجنرال باتون قائد الجيش الاميركي الخامس عشر متأثراً من الجراح التي اصيب بها بحادث سيارة .

٢١ – عقدت اللجنة العسكرية البريطانية اولى جلساتها في بيروت وبدأت تدرس تدابير الجلاء .

سلم سفير مصر في لندن الى وزارة الخارجية البريطانية المذكرة التي تطلب فيها مصر تعديل المعاهدة البريطانية المصرية .

٢٢ – اعترفت بريطانيا بالغاء الملكية في يوغوسلافيا وانشاء جمهورية شعبية اتحادية .

تفيد انباء طهران عن ظهور نشاط ثوري مسلح في ولايتي مازندران وخراسان .

٢٤ – اعلن مؤتمر موسكو ان الدول الثلاث قد وصلت الى اتفاق بشأن اعداد معاهدات السلم وهي تدعو فرنسا والصين للموافقة على ذلك . وسيعقد معاهدة الصلح مع ايطاليا ممثلو روسيا واميركا وبريطانيا وفرنسا ، ومع فنلندا ممثلو بريطانيا وروسيا ومع رومانيا وبلغاريا والمجر ممثلو روسيا واميركا وبريطانيا . وبعد ان يتم اعداد المعاهدات تدعي الامم المتحدة الى مؤتمر عام .

٢٦ – قررت الحكومة الفرنسية تعديل قيمة الفرنك بالنسبة الى النقد الاجنبي . وقد اصبحت قيمته بالنسبة الى الدولار ١١٩ والى الليرة ٤٨٠ .

٢٧ – سمعت عدة انفجارات في مراكز الحكومة بالقدس وقد اطلقت صفارات الانذار .

انتهى مؤتمر موسكو والمعروف ان الدول الثلاث اتفقت على وضع رقابة على الطاقة الذرية، والتعاون في الشرق الاقصى وانشاء مجلس رقابة على اليابان .

اجتمع مجلس النواب السوري وقرر الدفاع عن الوطن السوري ضد اي معتد واعلن اعضاؤه استعدادهم لبذل آخر ما يملكون من نفوس وأموال حتى يجلو المحتل عن اراضيهم .